مهر العروسة

رواية

بقلم / د. حسين مؤنس

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

مؤنس ، حسين .
مهر العروسة : رواية /بقلم حسين مؤنس ؛
رسوم عبادة الزهيرى . - ط ١ . -
القاهرة : دارالرشاد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧
٨٠ ص ؛ ١٤ × ٢٠ سم .
تدمك ٤ - ١٠٧ - ٣٦٤ - ٩٧٧
١ القصص العربية
أ - الزهيرى ، عبادة (رسام)
ب- العنوان ٨١٣

الناشـــــر : دار الرشـاد
العنـــــوان : ١٤ شارع جواد حسنى . القاهرة
تليفـــاكس : ٢٣٩٣٤٦٠٥
بريد إلكترونى : Dar_al rashad @ hotmil. com
رقـم الإيـداع : ١٦٥٣٠ ٢٠٠٧
جمـــــع : النصر للجمع التصويرى
تليفـــون : ٧٨٦٣١٩٩
طبـــــع : عربية للطباعة والنشر
تليفـــون : ٣٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٣٢٥١٠٤٣
الطبعـة الأولى : ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
مـــراجعـــة : عادل أبو المعاطى
الغـلاف للفنان : عبادة الزهيرى

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

رياحين أم شياطين

.... لا هو - ولا أحدَ غيره - يدرى كيف حدث الحادث . كان يهبط - وإلى خلفه مساعده حسن محمود زيتون - أربع سُلّمات تؤدى إلى حديقة صغيرة أنشأها خلف بيته عندما اشتبكتْ رِجْله بشىء وفقد توازنه ، وتدهور السُّلّمات الأربع ، وارتطم رأسه بالأرض فأُغْمى عليه ثوانى ، ثم أفاق على ألم شديد جدًّا فى ساقه اليسرى من أولها إلى آخرها .

لقد التوَتْ وانطوَتْ تحته .. والحاج زيتون ومن ورائه اثنان من خدم المعلم هتفوا : يا ساتر يا رب ! يا ساتر يا رب ! وطارت الصيحة فى البيت كله ، وصرختْ حرمه الحاجة عنايات ولم تَقُمْ فقد كانت مُقْعدة، والخادمتان والطبَّاخة عَوَلْنَ بصوت عالٍ ، وعبد الحميد الخادم أخذ يجرى كالمجنون ويرجف .

والخبر انتشر فى حارة الهدارة المكتظة بالسكان فى باب الشعرية ، وبعض الناس قالوا : إن ساقه تدغدغت (أى تحطمت قطعًا) وبعض الكارهين والحاسدين والحاقدين (وما أكثرهم) قالوا : إنه مات .

ولكن الأمر أهونُ من ذلك بكثير . رغم الألم الشديد نقلوه إلى المستشفى ، وهناك كشفوا عليه وأزالوا الألم وعملوا الأشعات ، وتبيَّن أن الموضوع خَدْشٌ سطحى فى عظم الفخد وضربة أليمة فى الركبة ، وعملوا له الجبس والربط ، وظلَّ فى المستشفى إلى بعد الظهر ، ثم عاد إلى البيت مستندًا إلى كتفَىْ خادميْه ومعه مساعده الحاج حسن زيتون .

وصعدوا به إلى الدور الثالث ، حيث كان قد أعدَّ لنفسه حجرة نوم فاخرة بهيجة واسعة ذات فيراندا يغطيها لوح زجاج واحد فيه باب من الألومنيوم ، ومن سريره كان يرى الدّنيا ، وأول ما تقع عليه عينه بيت فقير متهالك تسكن على سطحه السيدة حميدة قرنى ، وهى سِتّ غلبانة كانت فرّاشة وشغّالة ، ولكنها الآن تعمل فى مخازن وزارة الصحة ، وهى تُسمى نفسها موظفة ، ومعها فى نفس الشقة على السطوح ابنتها الجميلة منيرة التى يسمونها موزة .

ويقولون : إنها من أجمل بنات الحى ، وهى طويلة أنيقة تعمل بيّاعة فى محل ثياب ، ويصفونها فى الحى كله بأسلوبهم ، فهى عندهم مِرَبْربة مسَمْسمة مقسمة مَكسَّمة ، تملأ العين والقلب ، ما شاء الله وألف حَصْوة فى عين الحسود .

صباح اليوم التالى ، أتى الحاج زيتون ليطمئن على المعلم ويتلقى تعليماته ، وزيتون لم يكن مجرد تابع للمعلم ، بل كان صديقه وزميله

ومدير محله التجارى الواسع فى مدخل العتبة الخضراء ، إنه سوق ضخمة يُباع فيها كل شىء من الأطباق والملاعق والسكاكين إلى الثلاجات والراديو والتليفزيون والفيديو والشرائط والساعات وأدوات التصوير ، وغير ذلك كثير جدًّا .

والمحل طول اليوم حافلٌ بالناس ، وثلاث خزائن « كيسات » تعمل باستمرار فى تحصيل نهر النقود وإحصائه ، لأن المعلم كان تاجرًا ماهرًا جدًّا . كان أمينًا جدًّا ومأمونًا فى معاملاته ، وكان يبيع فى محله أحسن البضائع بسعر لا بدّ أن يكون أقل ما فى السوق ، وهذه كانت سياسته أو سياسة الحاج زيتون . وزيتون كان مديرًا ماهرًا جدًّا .

وهنا - فى المخازن - بضائع بملايين الجنيهات ، كلها مُسجَّلة ومُقيَّدة ومحفوظة فى ذِهْن الحاج زيتون ، وثلاثة من أولاد المعلم سيد حسنين العَتال ، يعملون هنا تحت إشراف الحاج حسن زيتون ، تعلموا حتى الثانوية العامة ، ثم عملوا فى المحل ، وهم الآن مديرون للأقسام ، ورواتبهم ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جنيه فى الشهر ، واثنان منهم متزوجان وعندهما عيال ، والثالث ما زال على البَرِّ ، ولكنهم كانوا يعيشون عيشةَ ملوك .

والحاج زيتون نفسه رجل غنى ، وراتبه فى حدود خمسة آلاف جنيه فى الشهر ، وله الحق فى أن يقوم بعمليات لحسابه ، بشرط أن يكون

المعلم على علم ، وعنده عمارة من عشرة أدوار ، وخمسين شقة ، وخمسة وعشرين دكانًا فى مصر الجديدة .

وواحد من أولاده ، واثنان من أزواج بناته يديران محلات هنا فى أول الموسكى ، أما ابنه الأكبر فقد وفَّقه الله وأصبح طبيبًا وأستاذًا مساعدًا للرمد فى الجامعة ، وله عيادة محترمة جدًّا وتُدِرُّ الألوف .

والستّ عنايات زوجة المعلم العتال ركبت كُرسيّها ذا العَجَل ، ودخلتْ تسأل عنه . إنها سيدة طيبة جدًّا ، وبعد أنْ أنفقتْ عمرها فى خدمة الحاج وتربية الأولاد جاءها السكر وضغط الدم وشلل خفيف ، وهى صابرة محتسبة يلهج لسانها طول النهار بحمد الله .

وبعد الذى رأته من أهوال شباب المعلم وشقاواته أصبح كلُّ شىء هيِّنًا عليها . ومن خمس عشرة سنة هداه الله وأقلع عن الشقاوة ، وتاب واهتم بتجارته ، ونجح نجاحًا لا يُوصَف بفضل صديقه الحاج زيتون ، ذراعه اليمنى واليسرى أيضًا وعينِهِ التى يرى بها كل شىء .

وابتنى ثلاث عمائر ضخمة ولكنه لم يغادر هذا البيت فى الهدارة : هدمه وبناه وأنشأ خلفه حديقة صغيرة ، وعاش هناك من سبع سنوات على الأقل مَلِكًا غير مُتَوَّج .. بل مُتَوَّجًا . وعنده خدم وحَشَم وحُرَّاس وسيارات ومال يقول الناس إنه يُكيَّل بالكيلة .

لم يمكث الحاج زيتون معه أكثر من نصف ساعة ، أخذ فيها تعليماته وخرج إلى المحل ، والحاجة عنايات خرجتْ لِتُعدَّ له الطعام الخفيف كما أمر الأطباء ، والأولاد والبنات والأصدقاء أتوْا وسلّموا واطمأنوا .

فى الساعة الحادية عشرة ، ساد الهدوء ، وأحسَّ المعلم أنه بحاجة إلى أن يخلو بنفسه تمامًا حتى الراديو أغلقه ، وأمر ألاَّ يزعجه أحدٌ ، وجلس فى فراشه الوثير ينظر إلى الكون ثم غَفَتْ عينه وصحا على أذان الجمعة ، فذكر أن هذا يومها وفتح الراديو ليسمع الصلاة على الأقل ، وتوضأ جالسًا فى فراشه بفوطة مبللة ثم صلى الجمعة ، وشرب الشاى ، وبقيتْ ساعة وبعض ساعة على الغداء فى الساعة الثانية بعد الظهر .

ونظر إلى بعيد ، فوقعت عينُه على سطح البيت الفقير ، ورأى موزة بنت حميدة تنشر غسيلها ، إنها محجبة فى الطريق والمحل ، ولكنها الآن غير محجبة وعليها ثوب سماوى اللون يصل إلى القدمين ، وشعرها منشور على كتفيها ، ومن الواضح أنها غسلته .

وهنا تسلل الشيطان إلى نفسه ، وشرع بهمَّته المعهودة يؤدى مهمته التى قال لله سبحانه بعد أنْ أنظره إلى يوم يُبعثون، إنه سيؤديها بكل هِمّة، وللمعلم مع الشيطان تاريخ طويل ، وقبل عشرين سنة كان الشيطان رفيقه صباحًا ومساءً ، بل كانت له فرقةٌ من الشياطين خاصة به تعمل فى خدمته .

وقد لعب وعبث ونصب وهرب وعربد مع شِلّة السوء ، ومن ذلك كله جمع خميرة المال التى بنى عليها هذه الثروة ، والحق أنه لم يستقم ويعرف الحلال إلا على يد الحاج حسن زيتون الذكى العاقل الطيب ، فسار معه فى الطريق المعتدلة واستقام ، وكانت عنده عمارة فابتنى اثنتين أخريين ، ونهض بهذا المحل وجعله أكبرَ سوق فى الحى كله .

ومن خمس عشرة سنة انتهى كل لعب ، ونجح نجاحًا لم يكُنْ على البال فى سلسلة صفقات من التليفزيون الملون والراديو والترانزيستور والبطاريات ، ثم فاز بمناقصة بناء مستشفى أهلى مصرى سعودى وتجهيزه ، ودخل عالم الملايين .

ومن ذلك الحين ، اشتُهر بأناقة فريدة فى بابها ، ولبس الجلاليب الصوفية ذات الياقة والوَزَرة ، وهذه الجلاليب السوداء أو الكحلية أو البُنيَّة تصل إلى القدم ، وفوقها معطف أنيق من نفس اللون وحذاء وجورب أسود ، وعلى الرأس طربوش أنيق ، وفى الأصبع خاتم كبير ، وفى اليد عصا من الأبنوس ورأس من العاج .

وكلُّ ذلك مُفصَّل بأحكام جعله يبدو كأنه مَلِك ، وفى الصيف يلبس جلاليب السَّكَرُوتة والقطن ومعاطف الترجال والبوليستر الخفيف ، وكانت صحته طيبة وقوامه طويلاً أنيقًا مع ميل إلى السمن وكانت مِشْيته أنيقة ، وخلفه دائمًا خادم أو اثنان .

هذا كله جعله يبدو فى أواخر الخمسينات ، وهو فى الحقيقة فى أوائل السبعينات ، وفى نظر الكثيرات من نساء الحى كان المعلم سيد حسنين العتَّال أجملَ رجل فى الدنيا .

دخل الشيطان إذن هذا الهيكل غير المقدس ، وليس فى خَلْق الله مَنْ هو أنشط ولا أذكى من الشيطان أو الشياطين ، وأساليبهم غايةٌ فى المهارة ، والمعلم السعيد المستريح فى سريره يمدّ بصره ، فيرى على البُعْد هذه الغادة ، ولم يلبث أن عرف مَنْ هى ، وبنت مَنْ هى .

وقال فى نفسه سبحان الخالق المصوِّر ، لقد احلَوَّتْ هذه البنت دون أن ألحظ ، ربما لأن الزىَّ يُخفى فتنتها ، وها هى ذى تروح وتغدو أمامه ، وتنحنى لتأخذ الغسيل ، وتستقيم لتنشره ، ويدها ترفع شعرها من على جبهتها ، ومن حين لحين تتوقف ، وربما لتستمتع بجمال نفسها .

وشيطانٌ صغير يستقر فى قاع فُمه . ويقول : حلوة هذه الموزَّة ، أليس كذلك ؟ إنها فى الرابعة والعشرين من عمرها يا معلم ، وأنت والله شاب على مَشارف الستين .

كل يوم يتقدَّم إليها خُطَّاب ، ولكنها ترفض ، ولكنهم جميعًا فقراء ، وهى تُحسّ فى نفسها أنها خُلِقَتْ للغِنَى والعِزِّ ، وعملها فى محل الثياب علَّمها الأناقة والرشَاقة ، وصاحبة المحل تحبها لأمانتها وتعطيها ألفَ

جنيه فى الشهر ، لأنها كما تقول : وشها حلو ، ولا يمكن أنْ يمرَّ يوم إلا تبيع ما بين ثلاثة وأربعة من أغلى الفساتين ، من خمسمائة إلى ألف جنيه ومعها شنط حريمى وملابس داخلية وبلوفرات أو إيشاربات .

اشترتْ سعودية منها فى يوم واحد بما فوق الخمسة آلاف جنيه ، وسيدة كويتية تملك محل أزياء فى السالمية عرضتْ عليها أربعمائة دينار فى الشهر غير المسكن المفروش الأنيق فرفضت ، ومدام عمر بك رفعتْ راتبها إلى ألف ومائتين وخمسين جنيهًا فى الشهر .

مضى الشيطان يقول : هذه ملكة جمال يا معلم ، وإذا لم تَكُنْ لك فلمَنْ تكون ؟ خاصة أنها تكره الفقر وأهله وسيرته لكثرة ما قاستْ فى صِغَرها !

وانتهى نَشْر الغسيل ، والبنت أقبلتْ تُطل على الشارع ويدها ترفع شعرها ، ورأس الغزال يهتز فى حركة عصبية لتُلْقى الشعر على الظَّهْر ، ثم حملتْ البنتُ طبق البلاستيك الأحمر ، وسارتْ فى رشاقة ودخلتْ مسكنها ، وسَادَ السكون .

ولكن إبليس الصغير الذى استقر فى قاع المخ بدأ يعمل بنشاطه المعهود ، وعنده حَشْدٌ حافل من الصّور والخيالات والأوهام ، والرجل الذى كان إلى حين قريب شيطانًا ثم تاب واستقام نهض من سكونه ونفض عن نفسه التراب ومضى يعمل .

ابتسم وجه الرجل العجوز لنفسه ، وهبط من مشارف السبعينات إلى الخمسينات ، وحرارة الجسد عادتْ ، والقلب الهادئ أخذ يسرع ، واليد امتدت إلى شعر الرأس الكثيف فى لون الملح والفلفل وأخذتْ تمشط .

وكلّ ما ألقى الشيطانُ فى أمنيته تحوَّل إلى خيالات ، والخيالات كثُرَتْ واستفاضتْ حتى أغرقتْ كلَّ شىء ، فتغدَّى كأنه ما تغدَّى ، وجلس إليه أولاده وامرأته وهو غائب عنهم يتمنى ذهابهم ليغلقَ البابَ خلفهم ، ويخلو إلى نفسه .

زاد جَمَالُ موزة فى تصوُّره ، حتى أصبحتْ أجمل امرأة فى الدنيا ، ووجهها أصبح فاتنًا وقوامها أصبح رمزًا للسحر ، ورآها تبتسم له ، وتحدَّثَ إليها حديثًا جميلاً ، ورآها تنظر إليه بإعجاب بالغ ، ورآها وهى تخدمه على المائدة وتُطعِمه بيدها الجميلة الفضية ، وعينه ثبتت فى ذلك السطح البعيد .

ومن حين إلى حين ، كانت تخرج لبعض شأنها ثم تعود ، وكلما خرجتْ مرةً أصبحتْ أجمل ، ولم يكُنْ يضايقه إلا أمها ، فقد رآها امرأة قبيحة ورخيصة ، ولكن أختها الصغرى كانت لطيفة وأميرة ومتعلقة بمُوزة فى كل شىء .

شرب فنجانين من الشاى ، وجعل يسأل عن حسن زيتون كل حين ، حتى سألوه إنْ كانوا ينادونه له ، فقال : لا لزوم ، سيأتى فى موعده .

وحوالى السابعة مساءً أتى . المحلُ انتهى العمل فيه فى السادسة ، ثم عُمِلت الحسابات وتسلّم الإيراد علاء الدين العتال الابن الأكبر العامل فى المحل ليُسلِّمه إلى أبيه . على هذا جرى العمل من سنين ، وذلك برأى الحاج زيتون الذى وجد فى ذلك راحةً له .

جلس الحاج زيتون إلى جوار السرير ومضى - كما هى العادة كل يوم - يعطى صديقه تقريرًا بكل ما وقع فى المحل كبيرًا كان أم صغيرًا . ثم أعطى بيانًا بالبضائع فى المحل وفى المخازن وفى الجمارك فى الإسكندرية وبورسعيد ، وكان ماهرًا جدًّا فى ذلك كله لا يكاد يخطئ فى شىء أو رقم أو اسم .

وفى العادة كان المعلم يُصغى إليه بكل ذِهْنه ونفسه ، لا يكاد يفوته شىء ، ولكن الحاج زيتون أحسَّ بأن صاحبه ليس كعهده كل يوم ، فإن نظره يرمى بعيدًا ، وفى لحظة ما قال له : انظر يا حسن .. انظر بسرعة .

والتفتَ حسن زيتون ، ونظر حيث أشار صاحبه ، وبعد لحظة قال :

- تريد هذه .. موزة بنت حميدة قرنى ؟!

- أجل .. انظر إليها .

وأعاد الرجل النظر ، والتفتَ هذه المرة بكُلِّ كيانه ، وقال :

- أجل هذه موزة .. ما لها ؟

- أليست جميلة ؟

- إنها هكذا كل يوم .. هل هذه أول مرة تراها بدون حجاب ؟

- ألاَ ترى جمال شعرها وقوامها ؟

- إن الضوءَ الآن قليلٌ . ولكنى أعرفها قطعة قطعة .. أنت تذكر أنها عملتْ عندنا فى المحل أيامًا على الكيس ، ثم أخذوها فى محل جُودلك الذى تعمل فيه الآن ..

- لا أذكر ، ولكن ألاَ ترى أنها جميلة ؟

- ولنفرض ذلك يا معلم سيد . ولكن ما شأننا بها ؟

- لا أدرى إنْ كنتُ أقول لك ، فأنا لا أُخفِى عنك شيئًا ولا أسرارَ بيننا . شُوف يا حسن .. اليوم .. وهذا الصباح وأنا راقد هنا رأيتُها جيدًا ، وعلى مَهل كانت تنشر الغسيل . وأقول لك الحق .. إنها أعجبتنى .. أعجبتنى جدًّا ، للمرة الأولى رأيتُها كامرأة ، وصدِّقنى يا حسن إنها حُلوة كالقمر .

وسكتَ حسن زيتون ، وطال سكوته ، كأنه يفكر ، فقال المعلم سيد حسنين العتال :

- ما لك ؟ أين ذهب بكَ الفكر ؟

- معذرةً يا معلم .. كنت أسأل نفسى : لماذا يهتم المعلم بهذه البنت؟

وحرَّك الرجل يده اليسرى بحركة سؤال ، ثم قال :

- كما يسأل أىّ رجل عن أىِّ امرأة ، أم ترى أن زماننا مضى ؟

- لا يا معلم .. العفو ، هذا لم يخطر ببالى ، لأنك باعتراف الكل ما زلتَ أجمل رجل فى الحى وأى امرأة ..

وقاطعه المعلم ، وقال :

- حسن .. أنت الوحيد الذى أفتح له قلبى ، وأنا الآن أصارحك وأستشيرك ، وإذا رأيتَ أنت أننى مخطئ فلن يحدث شىء ، وتكفى على الموضوع ماجورًا ، وليست هذه أول مرة تردُّنى فيها عن خطأ ..

وبعد لحظات تفكير سأل الحاج زيتون : لكى نعرف كيف نتكلم أرجوك أنْ تصارحنى بما فى ذِهْنك .. أنت تعرف أن كل ما يدور فى ذهنك خاضعٌ للأخْذ والرد معك ، وما تراه صالحًا يمشى .

- لا أدرى يا حسن .. اليوم جلستُ وحدى ساعات ، مسألة رِجْلى ليست بشىء ، ولكنى أعتقد أننى كنت بحاجة إلى هذه الساعات وحدى ومع نفسى .. وأثناء هذا السكون رأيتُ البنت بهدوء ولفترة طويلة ، وأصارحك أنها أعجبتنى ، أنت تعرف أننى منصرفٌ عن النساء من عشر سنوات وأكثر ، حتى نامت فى نفسى كل رغبة ، خصوصًا أنك تعرف حالة الحاجَّة ..

وفكَّر الحاج لحظات ، ثم ابتسم وقال :

- فهمتُ ! وما له ؟ تريد أن تتزوجها ؟

- لم أقرر بعد . ولكنها فكرة شغلتنى طوال هذا اليوم وأنت تعرفنى ..

- نعم أعرفك يا سيد المعلّمين .. ومَنْ يعرفك مثلى ؟ .. وأنا لا مانعَ عندى من أىِّ شىء يبسطك .

- وأنت تعرف أن الناسَ كلهم عندى كوم وأنت كوم .

- عشْتَ يا سيد المعلمين عشْت ، وإذا أردتَ أن تمنحنى فرصة إلى الغد للتفكير كان بها ، وإذا أردتَ أن تتزوجها الليلة تزوجتَها الليلة .

- ليس إلى هذا الحدِّ يا حسن .. أنت تعرف بنات هذه الأيام ، وكل واحدة وراءها خطيب ، أو فى قلبها حب ، أو شىء .

- إذن ، فما رأيُكَ فى أنْ أمضى غدًا إلى محل « جود لك » ، وأخترع شيئًا للكلام مع صاحبته مدام عمر بك ، وفى أثناء ذلك أتأمل البنت عن قُرْب .

- ولكنك لن تكلم البنت ..

- أظن أننى سأُكلِّمها إذا استطعتُ .

- عنِّى ؟

- أظن لا .. سأتكلم معها - لو رأيتَ ذلك - فى أىِّ شىء ، أريد أنْ أعرف عنها شيئًا .

- اسمع يا حسن .. افعل ما ترى .. أنت لا يُوصيكَ أحد .

وقبل أن يخرجَ الحاج حسن زيتون سأل المعلم :

- ولكن .. هلْ أنت تريد الزواج منها ؟..

- وَلِمَ لا ؟ إنها بنتٌ حلوة طيبة ، وإذا لم يكُنْ لديها هى مانع ، فأظن أن هذا الزواجَ شىء جميل ، والبنت تعجبنى جدًّا .

- ولكن هذه البنت يا سيد المعلمين قد تنجب منك .

فضحك المعلم وقال : يا سلام ؟ ومَنْ يكره الخِلْفة ؟

- أولادك مثلاً .

- أولادى يا حسن أخذوا فوق ما يستحقون .. إنهم أغنياء جدًا ، فماذا يريدون ؟

- لا أدرى .. ولكنها طبيعةُ الناس ، طبيعةُ الأولاد أقصد .

- توكَّل على الله .

- أمرك يا معلم ، سأفعل هذا غدًا وأؤجل السفر إلى بورسعيد إلى بعد غد .

وخرج الحاج حسن زيتون . كانت الدنيا ليلاً ، فى خارج الغرفة كان اثنان من أولاد المعلم وبعض أقاربه ينتظرون ليدخلوا . كان هذا أمرًا عاديًا : حسن زيتون هو الشخصية الأولى عند المعلم . والحاج وقف معهم دقائق يتحدث ثم سلّم ومضى .

ودخل الأولاد والبنات وسلّموا وتحدّثوا ، وقصُّوا على المعلم أخبار المحل . الولد الأكبر استأذن فى السفر إلى الإسكندرية غدًا ليرى ماذا تمَّ فى الـڤـيلا التى يبنيها فى العجمى .

ويقول المعلم : ڤـيلا فى العجمى ؟ وما لزومها ؟ وعمارتنا فى ميامى ما لها ؟ أليس لك شقة كاملة فيها معنا فى الدور التاسع ؟ ألم أُعْطِ كل واحد منكم شقة خاصة به ؟

وقال الابن الثانى عبد الرحمن لأخيه :

- قُلْ للمعلم لماذا تبنى هذه الـفـيلا ؟

وقال هاشم فى غضب :

- ولماذا لا أقول له ؟ أتظننى أخاف ؟ إننى سأتزوج يا أبى .

- على فهيمة دسوقى أم الأولاد ؟ غير ممكن يا هاشم ! أنت تعرف علاقتنا بالحاج دسوقى ، وفهيمة تعبتْ معك طول عمرها ، وعندها منك أربعة .

- كلُّ هذا صحيح يا أبى ، ولكن الزواجَ حلالٌ ، وفهيمة لن تخسر شيئًا ..

فقال المعلم بصوت غاضب : مَنْ قال لك ذلك ؟ أىّ امرأة فى الدنيا تخسر وتغضب إذا تزوَّج زوجها عليها ، وفهيمة بالذات لا يمكن أن نعمل معها ذلك .. هل تنسى ما فعلتْهُ معنا من سِتّ سنوات ؟

وقال عبد الرحمن :

- أظن أن هذا الكلام لم يَعُدْ ينفع يا أبى . لقد كتب كتابه .

- ومَنْ هى ؟

- ممثلة سينما صغيرة جدًّا .. هل سمعتَ عن لولو بباوى ؟

نظر الأب إلى أسرته واجمًا ، وسَادَ الصمتُ نحو دقيقة ، وقال المعلم لزوجته الجالسة فى مقعدها :

- كنتِ تعرفينَ ذلك يا عنايات ؟

- هذه أول مرة أسمع به ..

وقال المعلم : إذن فاخرجوا جميعًا .. لا أريد أن أرى منكم أحدًا .

وخرجوا كلهم إلا الزوجة عنايات ، فنظر إليها وقال :

- يُعجبكِ هذا الكلام يا سِتّ هانم ؟

- وأين مَنْ يعجبه ؟ (وبعد لحظات) ولكنه ابنك هاشم وأنت تعرفه .. إنه مُتعِب دائمًا . طول عمرنا نقاسى منه .. لقد حمدنا الله على أنه استقام .. ثم إن فهيمة برضه مسئولة .. فهيمة طول عمرها ناشفة معه وقد نصحتُها مرارًا .. وهذه هى النتيجة .

- إذن فأنتِ تدافعينَ عنه ..

- لا والله يا معلم ، ولكنهم أولاد هذه الأيام ، وماذا نعمل ؟ لا تضايق نفسكَ يا معلم .. انْسَ ذلك الآن .. لقد أعددتُ لى ولكَ عشاءً أنت تحبه : سمك بورى مشوى من النوع الذى يعجبك ، وبُغَاشة خفيفة كالنسيم من عند الأوسطى فرج .. لقد أعدَّها بيده خاصة لكَ .

بعد العشاء جاءتْ خادمة وغسلتْ يديه وفمه . ثم اضطجع فى فراشه جالسًا ، وتفرَّج بعض الوقت على التلفزيون ، ثم أغلقه وأطفأ النور ، ولم يَعُدْ هناك إلا بصيصٌ لطيف يدخل من زجاج نافذة الفيراندا .

من بعيد يرى مصباحًا ذابلاً فى شقة البنت . وعادتْ الخيالات . والجسد الغَضّ كالعودِ يتمايل ، والشعر الحرير على الكتفين ، ويَدُ الفضة ترفعه ، ورأس الغزال يميسُ بين الحين والحين ليعيدَ الشعرَ إلى مكانه .. حاجة تهْوسِ ، حاجة تِشْرح القلب .

ولِمَ لا ؟ وكم مرة نعيش ؟ وهذه عنايات امرأته لا ترى بأسًا بزواج ابنها هاشم من لولو قطران .. مع أن فهيمة ربما كانت أجمل امرأة يعرفها ، رغم أنها أنجبتْ أربعة أولاد وهى تقتربُ من الخامسة والأربعين ، ولكنها ما زالت أجمل من البُغَاشة بالقِشْدة التى أكلها الآن!

حقًّا إن ابنه هاشم لا يختشى ! لا فائدة إنهن شياطين خُلِقْنَ لنا . لا .. إنهُنَّ رياحين ، ومُورَّة هذه ريحانة .. أو شيطانة .. سِيَّان ..

* * *

ريشة فى مهب عاصفة

.... المعلم سيد حسنين العتَّال من الرجال الذين يدخلون فى النُّعاس بمجرد أنْ تستقر رءوسهم على الوسادة ، نام مبكرًا فى حدود العاشرة ، ولهذا فقد صَحَا مبكرًا بعد الخامسة بقليل ، ولأول ما صحا تحسَّس ساقه المصابة ، فوجد أنها شُفيَتْ تقريبًا .

ولم يَبْقَ من ألم الأمس إلا همس لا يُذكر ، فقام فى حذر ودخل الحمام العجيب الذى كلَّفه ستة آلاف جنيه واغتسل ، وحلق ذقنه وأخرج من الدولاب بيجاما حمراء ، وارتداها ونظر إلى نفسه فى المرآة فأعجبته ، وقرر أن يظلّ فى السرير يومًا آخر بعيدًا عن متاعب الدنيا والأولاد .

وتكفيه حكاية ابنه هاشم وزواجه من تلك الممثلة الحقيرة « لولو » وما خفى كان أعظم ، وإذن فليدَّعى أن ساقه ما زالت تؤلمه ، والطبيب نفسه أمره بلزوم الفراش أسبوعًا ، واستراحت نفسه لهذا القرار ، فجلس فى فراشه وأسند رأسه .

كانت الساعة السادسة والنصف ، ولكن الضوء كان يملأ الدنيا خارج الحجرة ، والشمس تغزو الكون ، وفى ضوء النهار الساطع نظر فرأى البنت موزة فى ركن خَالٍ من السطح الذى يسكنون عليه .

كانت فى الغالب تأتى بشىء من السطوح ، وهى تلبس فستانًا جميلاً لونه بمبى وشعرها منتشر على كتفيها ، إنها لم تتحجَّب بعد ، ما أجملها إنها بعيدة عنه ، ولكنه يراها بوضوح ، إنها تقف فى ضوء الشمس وجمال جسدها يسحر العيون ، ووجهها الممتلىء فتنةً يغزو قلبه .

نهض واقترب من الزجاج فى حذر ليرى أفضل . ووجد نفسه يقول: هذه هى البنات اللاتى يُسعِدْنَ القلب ولا بنت لولو التى لَـمَّهَا هاشم من الحضيض ، وتزوجها وأعطاها اسمنا ، ومضى يبنى لها فيلا فى العجمى .

هذا الولد نكبة من يومه ، كم تعبنا معه وهو طفل وصبى ، وفى المدارس لم يتزحزح من السنة الثانوية الأولى ، وفى النهاية هذا هو اليوم مدير فى المحل وراتبه خمسة آلاف جنيه ، وكل شغله يعمله حسن زيتون ، وقد زوَّجناه واحدة من أجمل بنات مصر ، وأنجب منها أربعة أقمار كأنهم الزهور ، ثم يذهب ويتزوج واحدة مثله .

أين هو من موزة وأمثالها ، إنها فقيرة ولكنها قيمة ما أحلاها ، سأتزوجها إن شاء الله إذا لم يكُنْ هناك مانع ، وها هى ذى زوجتى

عنايات لا ترى مانعًا من زواج ابنها على فهيمة ، ولا أظن أن لديها مانعًا من زواجي من موزة ..

ثم اختفتْ موزة داخل مسكنها، فعاد إلى السرير وجلس ومَدَّ رِجْلَيْه وتغطّى ونعس ، ثم صَحَا فى الثامنة وهو يشعر بجوع ، فدقّ الجرس ، وعلى العادة دخلتْ الخادمة الرشيقة تدفع أمامها عربة ، ثم ترفع من فوقها صينية على كرسى خاص ، وتضعها أمامه فوق السرير ، ويمد يده فيداعبها ، وهى ترجوه فى دلال أنْ يتوقفَ وهى تبتسم .

هذا شأنه معها كل يوم تقريبًا ، هذه البنت عندهم من سنوات ولكنها خليعة معه ، وتقاطيعها السمراء تعجبه ، وهو معروف بأنه شقى، وهذا الطراز من البنات يُعجبهنَّ الرجل الشقى ، وتركتْه يفطر فأكل ما يكفى ثلاثة رجال .

ثم دخل عم زكى السفرجى ليرفع المائدة فتصنَّع أنه ما يزال يعرج ومضى مُسْتندًا إلى ذراعه إلى الحمام ، فغسل يديه وفمه ومشّط شعره ، وعاد فجلس على الفوتيل وأخذ ينظر فى الصحيفة ، وفتح الراديو ، ومضى ينتظر الحاج حسن زيتون ، وأخذه النعاسُ والراديو مفتوح ، وفى الحادية عشرة والنصف حضر الحاج .

وبعد السؤال عن الصحة والتهنئة بالنزول من السرير والثناء على البيجاما الحمراء مضى يُقدِّم له تقريرًا وافيًا عن مهمته ، وكان متشوقًا جدًّا إلى معرفة تفاصيلها .

قال : مدام عمر بك تُسلِّم عليك ، لقد أعطتنى طلبية فساتين محترمة من محلها ، قضيتُ عندها قُرابَة الساعة ، ورأيت منيرة « موزة » أقصد عن قُرْب ، إنها جميلة فعلاً ورشيقة وأمينة .

هناك بنت أخرى فى المحل ، ولكن موزة هى اليد اليمنى لمدام عمر بك التى تثق فيها بغير حدود ، إنها تمسك الكيس إلى جانب البيع ومفتاح الخزانة فى يدها ، إنها لطيفة جدًّا والزبائن يقصدونها دون الأخرى ، وهى ماهرة فى البيع ، وبَالُها طويل ، وصوتها هادئ وجميل .

مدام عمر بك تعطيها راتبًا قدره ألف ومائتان وخمسون جنيهًا فى الشهر ، وفى معظم الشهور تزيدها مائتين وخمسين جنيهًا أخرى فى الشهر ، والبنت متريشة وهى ترجو أمها أن تكف عن العمل لأنها تستطيع الإنفاق عليها وعلى أختها الصغيرة سوسن ، وهى تلميذة فى الإعدادى ، ولكن الأم ترفض لأنها كما فهمتُ تحب الفلوس .

وأقول لك الحق يا سيد المعلمين : لقد أعجبتنى البنت ، ووجهها مِسَمْسِم جميل .

وختم كلامه قائلاً : إنها ستكون إذا تزوجَتْ سيدَة بيت مُعْتبرة ، والعقبة الوحيدة التى أخشاها هى مدام عمر بك ، فهى مستعدة لأن ترفع راتبها حتى إلى ألف وخمسمائة جنيه لتحتفظ بها حتى إذا تزوجت ، والعرسان كثيرون ، ولكن كلهم من الصنف العادى . مدام عمر بك تقول : إنها بدأت تميل إلى واحد منهم ، وهو محاسب فى مثل سِنِّها .

وقاطعه المعلم قائلاً :

- معنى ذلك أننا ينبغى أنْ نسرع قبل أن يقعَ ارتباط أو أىّ شىء ، وهل عرفتَ شيئًا عن هذا القرد ؟! شكله مثلاً ..

- وماذا سيكون إلى جانبك يا سيد المعلمين ، لا تَخْشَ من هذه الناحية شيئًا ، فإن أحدًا لا يستطيع الثبات أمامك .

- إذن .. فمن رأيك أن نتقدَّم ؟!

- قبل كل شىء أحب أنْ أسألك : هل حقيقةً عزمتَ على الزواج ؟

- وليه لأ يا حاج ؟

- أنت تعرف أننى لا أسمح لنفسى قَطّ بالدخول فى خصوصياتك ، ولكنك تعرف أن الزواج كله مشاكل وستّ عنايات لن يعجبها ذلك ، ثم هناك أولادك .

وانفجر الرجل يقول :

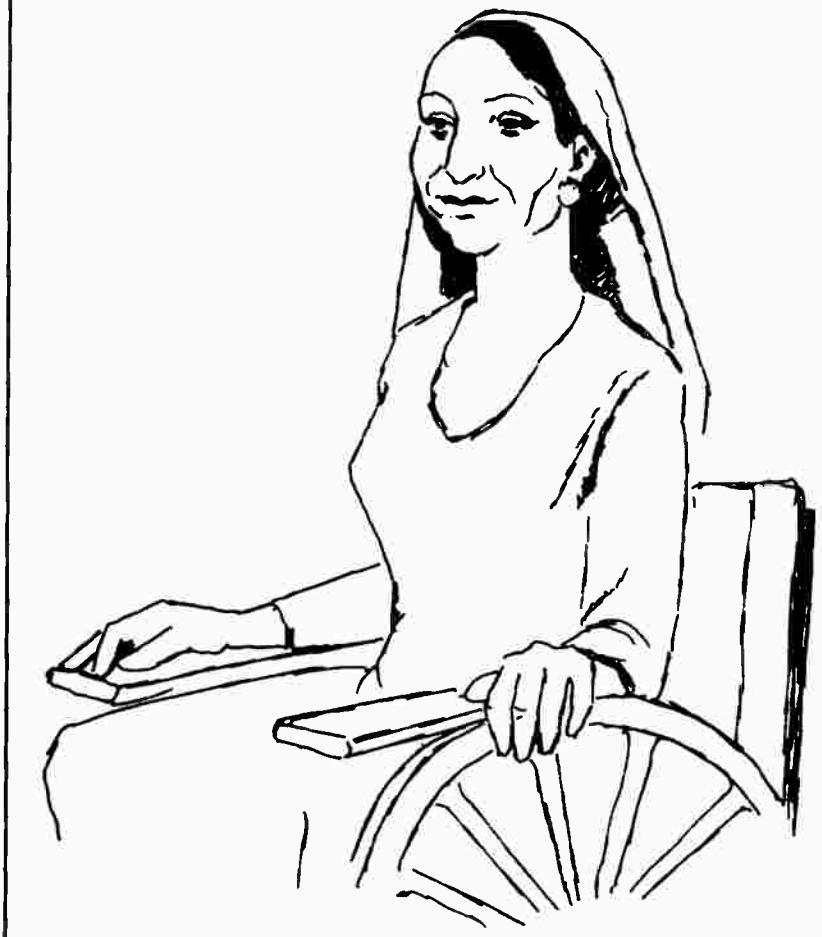

- أولادى ربنا يخرب بيتهم كلهم ، ها أنت ذَا رأيتَ ما فعله هاشم .

- كلنا نعرف هاشم من زمان ، ولكن الباقى فيهم خير ، وإذا لم نحسب حساب هاشم فلنحسب حساب الباقى ..

- لا باقى ولا عفريت .. إنهم يمتصُّونَ دمى يا حاج ، وأنت تعرف ذلك ، وأنت تعرف بنتى هنية وما يفعله معها زوجها « ربنا ياخده » .. ومع ذلك فهى تحبه ولو استطاعتْ لأطعمتْهُ لحمى .. لا يا حاج .. لا تذكر لى أولادى ، فَهُمْ لا يهموننى لأننى لا أهمهم ، الوحيدة التى أكترث لها هى زوجتى عنايات ، وها أنت ذَا قدْ رأيتَ أنها تبرر عَمْلة ابنها السوداء ، أظن أننى أستطيع أن أراضيها ، ثم إنها ستظل فى عِصْمتى ما عِشْنا ..

- إذن .. فعلى بركة الله ..

- طبعًا .. قبل أنْ يلهفها غيرنا - إذهب وكَلِّم أمها .

- أظن أننى أُكلِّمها هى أولاً ، وربنا أمر بأنْ نأتى البيوت من أبوابها والباب هنا هو مُوزَة لا أمها ..

- عندك حَقّ .. ولكن كيف ستُكلِّمها ؟!

- بَرْضُه سآتى البيت من بابه ، سأكلمها عند مدام عمر بك .. سأستأذنها فى أنْ أُكلِّمها فى الغرفة الداخلية ..

- اليوم ؟!

- إنْ شاء الله آخذ الطلبية وأذهب إلى هناك بَعْد الظهر ..

- أنت تعرف شُغلك .. أنت دائمًا تعرف شغلك .. إنْ وجدتَ منها أىَّ معارضة فبَحْبح يدكَ وخير ربنا كثير . وعليك أنْ تُريحها على الآخر.

- إنْ شاء الله .. اطمئن أنت ، وكُنْ على ثقة من أننا سنعمل أحسن شىء .

- إذن تقوم أنت الآن ، فوراءك عملٌ كثير .

ونهض الحاج ، وقال المعلم :

- ولا كلمة حتى يتم كل شىء .

- طبعًا يا معلم .

ونهض الحاج زيتون ، ووقف أمام المرآة ، وأصلح هندامه على الآخر ، وكان زيّه مثل زِىِّ صاحبه لا يختلف عنه إلا فى أنه كان لا يميل

إلى الغوامق فى كل الأحوال ، ومضى إلى محل « جود لك » فى عربة المعلم مرسيدس . ودخل فرأى مُوزة مع زبونة فحيَّاها وردَّت عليه .

ودخل على مدام عمر بك فى غرفتها الصغيرة ، وجلس يتحدّث معها فى أمر الطلبية ، وعَيْنه مُرْسَلة إلى الخارج تتأمل موزة ، وأتت مُوزة إلى مدام عمر بك تستفسر عن شىء ، ووقفتْ أمامها نحو دقيقتين وهو يتأمل كل شىء فيها ، وعينُه صاعدة هابطة ثم خرجتْ ، ومدام عمر بك تقول :

– ما لكَ تنظر إلى موزة يا حاج ؟ هل حَلَتْ فى عينك ؟ ألم تكن عندكم فى المحل ولم تعجبكم ؟ وأنا أخذتُها وصنعتُ منها تحفة .

– لا والله يا مدام .. أنت تعرفينَ أننا لا نمدّ عيوننا إلى مَنْ يعملون عند غيرنا ، وكل الدنيا تعرف أنها بنتكِ وصنعة يدكِ .

– الحمد لله يا حاج أنها بنت حلال وشاطرة وأمينة ولنلمس الخشب ، وأنت تعرف ماذا يحدث للعمال فى هذه الأيام .

– عندكِ حَقّ .. لنلمس الخشب ، ولكن أتدرينَ ما الذى استوقفَ نظرى فيها هذه المرة ؟ لقد أصبحتْ جميلة .

– هذا شُغْلى يا حاج إننى اختصاصية تجميل ، تعلمتُ هذا الفن أيام كان زوجى قائمًا بالأعمال فى باريس ، والبنت تقاطيعها حُلْوة وجسمها

حَسن التقسيم ، ولكن الفن له عمل صدِّقنى يا حاج : لا يخلو يوم من خاطب ، ولكنها عاقلة وأنا أُعيِّنها وأرعاها مثل عينى ، لأننى فعلاً أحبها ..

- ألم تُخطب بَعْد ؟

- ربما يحدث ذلك عمّا قريب ، وهناك شابٌّ محاسب « مش بَطَّال » بيحَرْجم حولها ، وأظن أنه يعجبها ، ولكنى لا أظن أن شيئًا يحدث قريبًا .. لماذا تسأل يا حاج ؟ هل عندك عريس لها ؟ أرجوك يا حاج خليكوا بعيد عنى ..

- لا تخافى يا مدام .. أنت تعرفين أننى أنا بالذات لا يمكن أن أفعل شيئًا مثل ذلك .

وعاد الحاج إلى المعلم بالبُشْرى وتباحثَا فى الأمر - والصورة التى تلقاها المعلم كانت مشجِّعة جدًّا ، فقال :

- يعنى نتوكَّل على الله ؟

- أمرك يا معلم .

- الخطوة التالية ..؟

- نكلم البنت ، وهذه مشكلة يا معلم لأن مدام عمر بك لاحظتْ أننى أطيل النظر إلى البنت ، وسألتنى إنْ كان لى فيها غرض وأنا نفيتُ ووعدتُ ألاَّ نمسَّ البنت ، وإذا كنت أريد أن أقابل البنت وأتحدث معها فأنا فى الحقيقة لا أدرى أين ؟ دَعْنى أفكر .

- ولكن لا تُضِعْ الوقت إنها الآن فى يدنا . ولكنك لا تدرى ماذا يمكن أن يحدث فى غمضة عَيْن .

- اطمئن يا معلم ، أظن أن أفضلَ شىء هو أن أُعِدَّ البضاعة للمدام فى محلِّنا ، وأتصلْ بمدام عمر بك لترسل مُوزَة للمعاينة ، وهنا أستطيع أنْ أتكلّم معها فى مكتبى .

- أنت رجل حَسَن التصرف دائمًا . فافعلْ ما بدا لكَ . ربما كان الأفضل أنْ يتم ذلك غدًا . أريد أنْ أستقر على شىء مساءَ الغد . وعلى فكرة : لقد ضاقَ خُلقى من هذه الحجرة ، وأريد أنْ أذهب إلى المحل .

- كما تريد يا معلم .. ومن ناحيتى سأجتهد فى ذلك .. ومساء الغد سآتيكَ بالنبأ اليقين .

* * *

ونجحتْ الخطة ، لأن الحاج ذكى جدًّا ، فقد أعدَّ كل ما طلبتْه المدام فى حجرته فى الصباح الباكر . وفى الساعة التاسعة والنصف صباحًا

اتصل بمحل جُود لَكْ . كان يعرف أن مدام عمر بك لا تكون هناك إلا فى العاشرة .. وفى التاسعة والنصف لا يكون فى المحل إلا موزة ، والبنت الأخرى وعاملة التنظيف ، والزبائن لا يأتين مُبكِّرات .

وعندما قال الحاج - فى الهاتف - أنه سيرسل العربة لتأتى بموزة للمعاينة ، وأن المسألة لن تأخذ نصف ساعة انحلَّ الإشكال .

وأتتْ موزة وعاينتْ البضاعة ، وأبدَتْ استعدادها لأَخْذها ، ولكن الحاج قال : إنه يفضل أن يُرسلها بعد أن تأتى المدام إلى محلها وتطمئن من مُوزَة على أنها موافقة للمطلوب ، لأن قواعد العمل فى محل المعلم تقضى بألاَّ نخرج من المحل بضاعة إلا بعد استلام الثمن .

وهذه قاعدة معروفة للجميع .

وعندما وقفتْ موزة لتنصرف قال لها الحاج :

- اجلسى يا مُوزة .. أريدكِ فى كلمتين .

- لقد عاينتَ الفساتين والشنط ، ولا بدّ أن أعودَ إلى المحل . إن الساعة الآن بعد العاشرة ، ومدام عمر بك لا بدَّ أن تكونَ هناك ..

- أعرف ذلك ، ولكنكِ لن تتأخرى هنا أكثر من خمس دقائق .. سينتهى كل شىء قبل أنْ تفرُغى من زجاجة ليمون .

- هل هو أمر هام ؟

- أظن ذلك ، وستحكُمين أنتِ بنفسكِ ..

وطلب زجاجةَ ليمون ، وأخرج من دولابه كوبًا أنيقًا من الكريستال ، وأفرغ فيه الليمون وأغلق الباب جيدًا وقال فى صوت خفيض :

- هل تعرفينَ المعلم سيد حسنين العتال ؟

- ومَنْ فى مصر كلها لا يعرفه ؟ أليس هو صاحب هذا المحل ، أكبر محلٍّ فى مصر .

- بلى ، إنه هو . سأكون مختصرًا ومباشرًا معكِ يا موزة . والكلام كله لا بدَّ أن يكون بيننا . لن تخرج كلمة أرجوكِ .

- شَغلْتنى .. ما هى الحكاية ؟!

- إذا كنتِ تعرفينَ المعلم العتال ، فما رأيكِ فيه ؟

- رأيى أنا ؟ ولماذا رأيى أنا فى رجل عظيم كأنه الدنيا ؟

- ذلك حَقّ ، ولكنه مهما عَظُمَ فهو رجلٌ كغيره من الرجال .

- لا أفهم يا حاج ! ما شأنى أنا برجل يعيش فى عالم آخر ، ثم إنه فى سِنِّ أبى .

- ترينَ أنه فى سِنِّ أبيك .

- أمى تقول إنه يقترب من السبعين ..

- لا يا موزة .. أمكِ لا تعرف هذا ، والمعلم فى حدود الستين . هل رأيتيه عَن قُرْب ؟

- إننى لا أنظر إلى أىِّ رجل عن قُرْب ، إننى الآن أبنى نفسى ، أنتَ تعرف أن أبى مات صغيرًا جدًّا من اثنتى عشرة سنة ، ومعاشُنَا كله لم يَزِدْ عن ستين جنيهًا ، ونحن كنا خمسة أمى وأنا وثلاثة إخوة . من ثلاث سنوات فقط بدأتْ أحوالنا تتحسَّن ، أقصد من يوم أنْ عملتُ فى الجُود لَكْ .

- وأمكِ .. سمعتُ أنها ..

- إنَّ ما سمعتَه حَقٌّ . إنها تعمل مخزنجية فى معامل لوزارة الصحة ، ورواتبها فى حدود مائتين وخمسين جنيهًا ، وقد رجوتُهَا أكثر من مرة أن تترك هذا العمل لأن أحوالنا تحسنت والحمد لله ، ولكن سنوات التعب عقب وفاة والدى أوجدتْ فى نفسها عُقدة غير قابلة للحَلِّ ..

إنها تتصوَّر مثلاً أن عملها فى المخازن أدوم من عملى عند مدام عمر بك . والمائتين والخمسين جنيهًا من الحكومة أبرك من ألف وخمسمائة من غير الحكومة . وبعد أن تعبتُ منها تركتُها .

وعلى أىّ حال فإن عملها هناك ليس فيه أىّ مشقة ، بل لا عملَ فيه ، وهى تخرجُ من البيت فى التاسعة والنصف ، وتعود بعد الظهر بقليل ، هى هناك لا تعمل شيئًا ، وليست مسئولة عن شىء ، ولكن مهما كان فإن هذا العمل لا يعجبنى ، ولكن ماذا أعمل ؟ معذرة دَوشتَكْ .

- كُلُّ ما يتصل بكِ يُهمنى يا موزة ، ومعذرةً إنْ كنتُ لا أخاطبكِ باسمكِ الرسمى ، وهو منيرة فيما أظن ..

- أجل منيرة .. ولكن اسم مُوزة لا يضايقنى ..

- لم تقولى لى رأيكِ فى المعلم العتال .

وكانت قد نهضتْ فعادَتْ إلى الجلوس ، ونظرت إليه فى عينيه وقالت :

- قلتُ لكَ إنه رجلٌ غنى جدًّا جدًّا ، وفى سِنِّ أبى ، فكيف يكون لى رَأْى فيه ؟ ولماذا ؟ هل هناك شىء تُخفيه عنى ؟!

فقال الرجل فى صوت بالغ الجدِّ :

- مُوزة .. المعلم يريد أنْ يتزوجكِ .

وانتفضتْ واقفةً ، وقد تجمَّد كلّ شىء فيها .. ومضى يقول :

- بلى يا مُوزَة .. إنكِ تعجبينه جدًّا . لا أدرى أين رآكِ أخيرًا ، ولكنه مجنونٌ بكِ ، وأنا هنا لأقول لكِ إنه يريد الزواج منكِ .

ففكرتْ طويلاً ، ثم قالت :

- هذا موضوع ضخم جدًّا بالنسبة لى. منذ البداية لا بدَّ أنْ أقول لكَ إننى بالنسبة له لا يمكن أنْ أكون إلا لعبة بالنسبة له الآن على الأقل . لعبة قد تبدو له الآن جميلةً ، ولكنه إذا حازها لم تَعُدْ جميلة ولا لعبة . ستكون أحد ممتلكات رجل غنى . وأنا إذا قبلتُ الزواج منه فسيكون لأنه رجل غنىّ وفقط ، وليس هذا شيئًا سيئًا بالنسبة لبنتٍ عانتْ عمرها كله فى الفقر . ومن الممكن الآن أن تكون غنية .

وأنا الآن لظروفى التى تعرفها بدأت أتخلصُ من الفقر ، وأدخل فى مرحلة الرخاء ، وأحمد الله على أننى الآن أسيرُ سيْرًا حسنًا . والطريق الذى أسير فيه الآن طريقٌ مأمونٌ تسير فى مثله آلافُ البنات . أما ما تعرضه علىَّ فمن المؤكَّد أنه سيجعلنى غنية ، ولكن من الممكن جدًّا أن أكون غنية وتعيسةً ، فالمعلم له زوجة وأولاد ، وهؤلاء لن يستقبلونى بأذرع مفتوحة ، ولهذا فإننى أرجوكَ أنْ تُمهلنى لأفكر .

- من حقِّكِ أنْ تفكرى ، وأنتِ بنتٌ عاقلة فيما أرى ، ولهذا فإننى لَن أدفعكِ . أنتِ على راحتكِ .

- هذا أحسنُ فيما أظُن .

- وهل ستحتاجينَ إلى وقت طويل لتنتهى إلى رأى ؟

- أظن ذلك لأننى - وهذه حقيقةٌ ينبغى أنْ تعرفها - لستُ مُتلهفةً على الغِنَى .

فكّر الحاج بضع ثَوانٍ ، وقال :

- كمَّلكِ الله بعقلكِ يا ابنتى . إذا كان المعلم قد أُعجب بكِ لجمالكِ فأنا أُعجَبُ بكِ لعقلكِ .. سأتركِ لتفكيرك إلى بعد غد . بعد غد أمرُّ بكِ فى محل مدام عمر .. ولكننى سأقولُ للمعلم إنكِ تُفكرين .. أقصد أنكِ لم ترفضى .

- لا .. طبعًا أنا لم أرفض ، وقد أقبلُ فى النهاية ، ولكن لابدّ لى من أنْ أفكر .

وأوصلها الحاج بسيارته مع البضاعة إلى المحل ، ودخل وأخذ الثمن.

كانت الساعة الحادية عشرة عندما وصلتْ ، كانت مدام عمر بك فى قَلق شديد عليها . أسرعتْ بدفع ثمن البضاعة للحاج ومضى . وسألتْ :

- ما هى الحكاية يا مُوزة .. ماذا جرى ؟

فقالت : مدام عمر بك .. هل أستطيعُ أنْ أتغدّى معكِ اليوم فى بيتكِ ؟ عندى كلامٌ طويل معكِ . إن المحلَّ ملىء بالزبائن الآن . فَدَعِينا ننتهى من أعمال المحل الآن .. ونتكلَّم على الغدا ..

كان اليوم مُوفَّقًا جدًّا فى المحلِّ . باعوا بما يقرب من خمسة آلاف جنيه . ومُوزة نسيتْ موضوع المعلم فى زحمة العمل ، ولم يَخْلُ المحل إلا قُرْبَ الثانية بعد الظهر ، فأرسلوا البنت الأخرى إلى بيت مُوزة لتقول لأمها إنها ستتغدَّى عند مدام عمر بك .

فى آخر لحظة أتت سيدة بحرينية كريمة وصديقة للمحل ، أتت تدعوهما للغداء فى الفندق الذى تنزل فيه ، لأنها تريد أن تعقد صفقةً مع مدام عمر بك ، فرجَتْها أن تعود فى الساعة الرابعة وأجَّلَتْ الغداء إلى العشاء ، أو إلى الغد . كانت كِلْتاهما فى أشدِّ الشوق إلى أنْ تخلوَ إحداهما بالأخرى .

وفى البيت ، طلبتْ مدام عمر من السُّفْرجى أن يضع الطعام وينصرف . وبعد أن انصرفَ قالتْ وهى تأكل :

- ماذا جرى يا موزة ؟

- لن تُصدِّقى يا مدام عمر بك : إن المعلم سيد حسنين العتال يعرض الزواج علىَّ . أرسل إلىَّ الحاج زيتون يعرض علىَّ ذلك ..

وتوقفتْ مدام عمر عن الأكل ، وقالت :

- المعلم سيد العتال نفسه ؟!

- أجل هو نفسُه يريد الزواجَ منِّى - يقول الحاج إنه رآنى - لا أدرى أين ومتى ، وأُعجِب بى وقرَّر الزواج منى ، وأرسل الحاج لذلك .

- وماذا قُلْتِ له ؟

- لا شىء .. هذا موضوع خطير يا مدام عمر بك . أريد أنْ أفكر ولا بدّ أنْ أستشيرك أنتِ بالذات ، فليس لى مَنْ أستطيع أن أثقَ فى رأيه فى مثل هذا الموضوع إلا أنتِ .

- وأمكِ طبعًا ..

- طبعًا ، ولكنى أعرف رأى أمى ، فهى تحب المال جدًّا .

- وما هو رأيكِ الأول ؟

- بصراحة يا مدام عمر بك ، هذا الموضوع يخيفنى .

- لماذا ؟

- هذا رجل غنى جدًّا ، وكبير السِّنِّ .

- أظن أنه فى حدود السبعين .

- الحاج يقول إنه فى حدود الستين .

- غير ممكن ، ولكن هذا ليس الموضوع .

- أنا أيضًا أقول ذلكَ ، المهم أن فارقَ السِّن كبير جدًّا ، فحتى لو قلنا إن سِنّه ستون سنة فعندنا فَرْق ستة وثلاثون عامًا ، وهو أمر غير معقول .

- ولابدَّ أن أقول لكِ إننى مهما حدث فأنا لا أريد أن أتركَ العملَ عندكِ . عندكِ يا مدام عمر بك عرفتُ الاستقرار والرخاء ، وهذه حقيقة أعيشها ، وكلّ ما عدا ذلك مشكوكٌ فيه . ثم إننى أحبكِ يا مدام عمر بك ، وأشعر معكِ بالأمان والحب ، وحتى لو كنتُ قد تزوجتُ زواجًا عاديًا فما كنتُ لأتركِ أبدًا .

- ولا أنا أستطيع الاستغناء عنكِ .. أنتِ الآن مثل ابنتى ، ولهذا علينا أن نفكر جيدًا جدًّا .. أكملى غداءكِ يا مُوزة فأنتِ لم تأكلى شيئًا ، ولا بُدَّ أنْ نستريحَ قليلاً لنعودَ إلى المحل ..

- كيف آكل أو أنام يا مدام ؟ إننى أشعرُ وكأننى ريشةٌ فى مَهَبِّ عاصفةٍ .

وجهًا لوجه

.... وضعتْ موزة رأسها على الوسادة ونامتْ . كانت مرهقةَ الذِّهن ، مُنهكة القوى . واستيقظتْ على أذان الفجر ، قد نامتْ فى التاسعة مساءً ، وصَحَتْ قرب الرابعة فجرًا . نهضتْ نشيطة ، صافية الذهن ، فصلَّت الفجر ثم التفَّتْ بشال وجلستْ على سجادة الصلاة خارج الشقة تستمتع بالنسمات العليلة ، وهى بين النائمة واليقْظَى .

كانت قد اتخذتْ قرارها : هذه الزيجة لا تنفع ، إنها الآن هادئة مستقرة ، والحياة تمضى بها رخاءً . لقد باعتْ بالأمس بما يقرب من الخمسة آلاف جنيه ، والبحرينية ستعود من الغد لتستكمل شراءها ، ومدام عمر بك ستُزيد راتبها إلى فوق الألف والمائتين والخمسين جنيهًا، فما الذى يجعلها تغامر بذلك كله لتكون لعبةَ معلم غنىٍّ ، له زوجةٌ وأولاد كالوحوش ؟ ثم إن الزواجَ من رجل فى هذه السن - أيًّا كانت - أمر لا يُسعد أىَّ شابة .

ثم نهضتْ ولبستْ ثيابها ، وتأنقتْ على عادتها ، وقالت لأمها : إن مدام عمر بك تنتظرها فى البيت لعمل خاص ، وكان هذا أمرًا عاديًّا

فلم تفطر ولا شربتْ فنجانَ شاى ، ونزلتْ وأخذتْ تاكسيًّا إلى بيت مدام عمر بك ، ووجدتْها على الإفطار . ورحَّبتْ بها السيدة وجلستْ مُوزَة تفطر معها وأبلغتها قرارها . ومدام عمر بك قالت :

- كمَّلكِ اللهُ بعقلكِ يا ستّ البنات ، هذا والله الرأى وأنا لم أقله لكِ أمس بل تركتُكِ لنفسكِ لثقتى فيكِ . سأزيد راتبك إلى ألف وخمسمائة جنيه فى الشهر ما دام البيع على هذا المستوى ، وإذا أردتِ زدتكِ على ذلك . أنت ذهب يا مُوزَة ، ومواهبك لا تنبغى أَنْ تضيع فى مثل هذا الزواج .

- ولكنى لم أَقُلْ لأمى . أنتِ تعرفين موقفها من المال ، وأنا أحبها ، ولا أريد متاعب معها ، وإذا بلغها شىء فأنتِ تكونين معى .

- طبعًا يا حبيبتى . اليوم سأذهبُ معكِ إلى المحل مبكِّرًا . عندنا زبونة ستأتى فى العاشرة .

- ما رأيكِ فى أنْ نحاولى أن نبيعها صفقة فساتين الترجال ؟

- خفِّضى السعر لها قدر المستطاع .. إذا اشترتْها كلها أعطيناها القطعة بخمسمائة جنيه . إنها حوالى ١٤ قطعة .

- اطمئنى يا مدام عمر .. هذه البحرينية سيدة طيبة جدًّا ، وتستحقّ كُلَّ إكرام .

ووصلتَا إلى المحل وبدأ العمل ، والبحرينية وصلتْ واشترتْ صفقة الترجال بسعر ستمائة جنيه للقطعة واشترت أشياءً أخرى ، ودعتْهما للغداء معها فى الماريوت . وعادتَا إلى العمل . كان يومًا جميلاً جدًّا ، وحكاية المعلم تراجعتْ مؤقتًا .

***

حوالى الحادية عشرة من صباح اليوم التالى أتى الحاج حسن زيتون ، ومدام عمر بك تركتْ حجرتها له ولموزة ، وجلس الحاج ضاحكَ الوجه ، وقال :

- هل عندكم فى البيت تليفزيون ؟

- لا والله يا حاج .. ولكننا سنشتريه قريبًا جدًّا .

- إذن فأبشرى . المعلم يرسل لك تليفزيون ٢٠ بوصة ، والعمال ينقلونه إليك بعد ظهر اليوم .

- وهل يعرف المعلم عنوانى ؟

- وهل هذه مشكلة يا ستّ الكل ؟

- لا . ليستْ مشكلة ، ولكن المشكلة أننى لن أتزوج المعلم . فكرتُ طوال الوقت وانتهيتُ إلى أن هذا الزواج ليس من صالح المعلم ولا صالحى .

- هذا خبر لا يسرُّ ، لأن المعلم لا يكفُّ عن التفكير فيكِ . إنه فعلاً مُتعلِّق بكِ . هل رأيتهِ قريبًا ؟

- ولماذا أراه ؟

- لأنك لو رأيتهِ لتلاشتْ مسألة السِّن من ذهنك .

- إنها لَيستْ مسألة السِّن فقط . المسألة أن الموضوع كله غير ممكن : السنّ والمركز المالى والاجتماعى والعائلى وكل شىء غير معقول يا حاج. لقد عانيتُ كثيرًا جدًّا فى حياتى ، ولم أعرف الراحةَ والاستقرار إلا من سنة ونصف . وكل شىء يسير على ما أحبُّ الآن . وربنا سبحانه وتعالى أكرمنى وأعطانى فوق ما تمنيتُ ، فلماذا أطمع فى المزيد؟

وحكاية الفلوس ليستْ أساسية عندى ، فلماذا أتركها تقلب حياتى؟

وسكت الحاج لحظات ثم قال: يبدو أنكِ لا تعرفين مدى تعلُّقه بكِ. وما هو مستعد أنْ يفعله من أجلكِ ، ستنتقلين إلى شقة من أفخم شُقق مصر . إنه مستعد أن ينفق فيها فوق المليون وسيشترى لكِ سيارة بخمسمائة ألف ، ولو أردتِ أن يكون المهر خمسمائة ألف قدمناها ، والشبكة تستطيعين أن تطلبى نجوم السماء . لا تتعجلى القرار يا بنتى أرجوكِ . إنكِ ترفضين نعمةً لا تخطر لكِ على بال .

- أرجوكَ ألاّ تضعفنى يا حاج . أنت رجل طيب وكريم ، وأنا بنت ضعيفة جدًّا . أنا لا شىء بالنسبة لكم . سألتُك بالله أن تتركنى على حريتى ، أنا لا أريد هذه الزيجة . إنها مغامرة لا أتحملها .

- أنتِ وما تريدين . أراكِ متمسكةً برأيكِ .

- وأرجوكم . لا ترسلوا التليفزيون . لا أريد أن أقف فى حرج وأنا أردَّه .

- هذا يُضايق المعلم جدًّا ، أرجوكِ أنْ تقبليه .

- ما دُمْنا لن نتزوج فأنا لا أقبل شيئًا ..

- إذن فهو هدية للسيدة والدتكِ .

- هذا إحراج لى يا حاج . إننى أعرف أمى ، ولا أريدها أنْ تعرف شيئًا عن هذا الموضوع كله ، لو عرفتْهُ لوقعتْ بينى وبينها مشكلة لا أولَ لها ولا آخرَ .. أرجوكَ يا حاج .

- أستطيع أن أقنع المعلم بقبول الاعتذار عن عدم الزواج ، أما ردّ الهدية فإهانةٌ يا ابنتى، اقبَلِى التليفزيون منى ، ولكن أرجوكِ ألاّ ترديه ..

ونهض الحاج وانصرف .

* * *

وتغدَّتْ موزة هذا اليوم مع مدام عمر بك فى بيتها ، وحكَتْ لها كلّ شىء ، وقالت :

- ولكن المصيبة هى هذا التليفزيون . ستعرف أمى بالموضوع وستقوم القيامةُ بيننا ..

- لا تخافى يا مُوزَة .. ربنا معك ثم أنا .

وعندما عادتْ مُوزة إلى بيتها آخر النهار وجدتْ ما توقعتْ ، التليفزيون ومعه فيديو على منضدة فاخرة .. وأختها الصغيرة تتفرج وهى فى غاية السعادة ، أما الأم فكان الشَّر يتطايرُ من عينيها ، وهى فى أقصى درجات التحفز . وتجاهلتْ مُوزة ذلك ، وقالت :

- ما هذا الذى أرى ، ومن أين أتى ؟

- أتى به المعلم العتّال بنفسه . أتى إلى هنا بعد تركيب الجهاز ، وحكى لى الحكاية كلها ، هل جُننت يا موزة ؟ ترفضين أغنى رجل فى الدنيا ؟ سعادة الدنيا تأتينا إلى بابنا ، ونحن نرفضها .

وجلست مُوزة على الكنبة الوحيدة فى الحجرة الضيقة وقالت :

- لا يا أمى ، أنا لم أُجَنّ ، بل اتخذتُ القرار السليم ، وهذا الزواج غير معقول ، وقد اعتذرتُ عنه ولن أقبله .

- لا يا سِتّ هانم ، ستقبلينه ورِجْلك على رقبتكِ إنه رجلٌ كالقمر : قِيمة وسِيمة ومال ومركز ودنيا ثانية .

ونظرت مُوزة إلى أمها طويلاً ، ونهضتْ ثم عادتْ فجلستْ على الكنبة ، وقالتْ :

- هذه طريقة فى الكلام لم أعهدها منكِ يا أمى . ما هذا الذى تقولين ؟ رِجْلك على رقبتك ! منذ متى أنتِ تقولين لى ذلك ؟

- معذرة يا بنتى ، إننى مُضطرة .. إنك أعزُّ شىء فى وجودى ، وتجيئك هذه النعمةُ من السماء فترفضينها ؟ أليسَ هذا جنونًا ؟ وهل من المعقول أنْ أتركِكِ تفعلينَ بنفسكِ ذلكَ ؟ أتدرين ماذا سيفعل هذا الرجل حُبًّا فيكِ ؟ سيعطينا شقة من خمس غرف فى المهندسين .

- أنت طلبتِ منه ذلك ؟

- نعم ! وَلِمَ لاَ ؟ رجل قال لى : اطلبى نجوم السماء تجدينها بين يديكِ ، فقط زوِّجينى من « موزة » ..

- لا تغضبى منى يا أمى .. سألتكِ بالله لا تغضبى .. إننى عاقلة بما فيه الكفاية ، ولهذا فأنا أقول لكِ إننى لن أتزوّج المعلم .

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. وهل أنتِ رأيتِهِ ؟ ترفضينه دون أنْ تريهِ ؟ موزة يا حبيبتى ماذا جرى لعقلكِ ؟ هل يُرضيكِ أنْ نظلّ فى هذا الثقب الذى نحن فيه ؟ إنه سيعطيكِ أنت أيضًا شقة بخمسمائة ألف ويفرشها بخمسمائة ألف ! ستعيشين فى الرخام والبنُّور والحرير والسجاد ، وستكون لكِ سيارة مارشيدس .. أتسمعين ؟ مارشيدس ، وكل ذلك سيكون باسمكِ ، فقط قولى نعم .

أغنى وأعظم رجل فى الدنيا كان جالسًا هنا كالطفل بين يدى أنا حميدة قرنى العاملة فى مخازن وزارة الصحة ، كاد يُقبّل يدى من أجلك ، تصدقينى ؟ ما عرفتُ أن هناك شيئًا اسمه الحب إلا اليوم ، أتدرينَ ماذا فعل بعد ذلك ؟ قال لى أن أذهب إلى محله وآخذ ما أريد دون مقابل .. سأذهب إليه فى مكتبه ، وسيرسل معى مندوبًا عنه يطوف بى فى دنيا محلّه الشاسع ، أشير على الشىء فيكون مِلْكى .. أستطيع أن آخذ بخمسة آلاف ، عشرة ، خمسة عشر ألف جنيه .

- وستذهبين ؟

- وأين مَنْ تستطيع أن ترفض ؟ هذه ليلة القدر فتحتْ لنا أبوابها فكيف نكون مجانين ونغلقها ؟ اذهبى وانظرى إلى الرجل من بعيد دون أنْ يراكِ .. اذهبى وانظرى الأُبهة والجمال والقيمة .

الرجل الذى ليس فى الدنيا مثله .. اذهبى وانظرى ثم جَرِّبى أن تقولى لا ! لن تستطيعى والله ! لا توجد فى الدنيا مَنْ تستطيع .

- ماذا جرى لكِ يا أمى ؟ هل طار عقلكِ ؟ لقد تكلمتِ وتكلمتِ وتكلمتِ فدعينى أتكلم . إننى أيضًا إنسانة عاقلة ، وعندما أقول لا فعندى أسبابى .

- لا يا موزة .. لا يا حبيبتى ! هنا وتنقطع الأسباب جميعًا .. الدنيا كلها واقفة عند بابنا ، فلنفتح البابَ وندخلها ، أو لندخلَ فيها ، ثم قُولى ما تشائين . اذهبى إليه الآن ، ووافقى ، أو دَعِينى أنا أذهب .. إما هذا أو ذاك ، أو تخسرين أمكِ إلى الأبد .

- هكذا !

- أى والله ، ليس هناك إلا هذا ..

- إذن فَلْننم هذه الليلة ، وغدًا إنْ شاءَ اللهُ يكون ما يكون .

- طمأنَ الله فؤادكَ وبرد قلبكِ يا منيرة ، يا بنت حميدة كَمَّلكِ الله بعقلكِ .

- إننى جائعة جدًّا يا أمى .

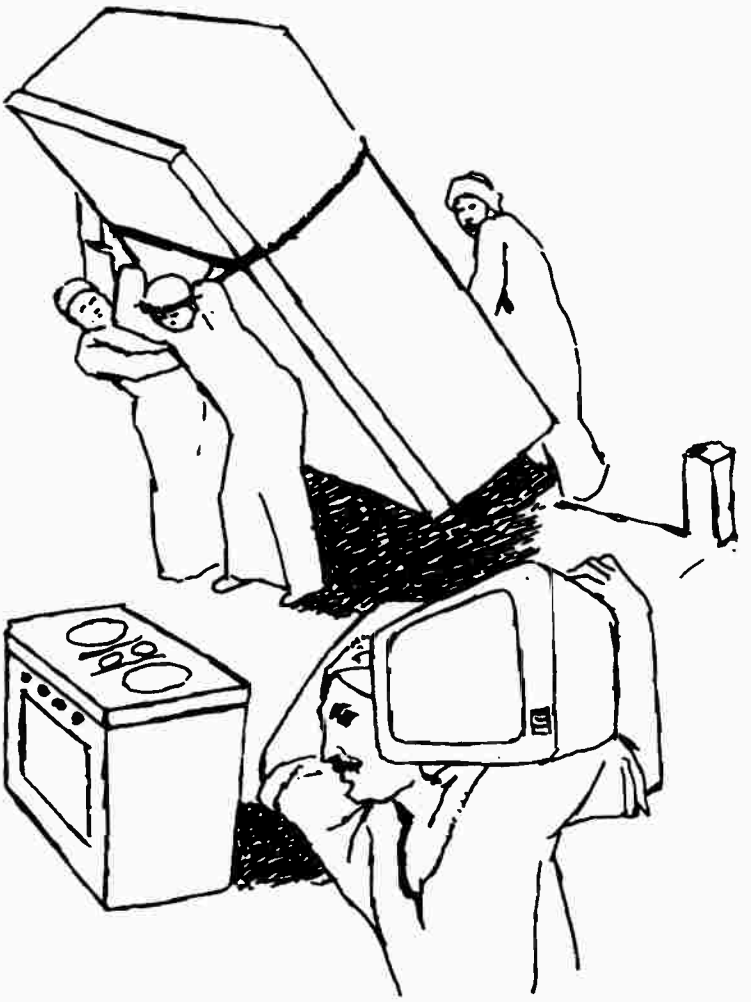

وهنا سمعوا ضجة وأصواتَ رجال ، ووقْعَ أقدام ، ونَقْر الباب ، وقامت الأم ، وفتحتْ فوجدتْ رجالاً ومعهم ثلاجة فى حجم هرم خوفو ، وقال كبير الرجال :

- من محلِّ الصفا والمروة ، من عند المعلم العتَّال .

- هذه لنا ؟

- نعم ، ودَعِينا ننظر أين نضعُها ..

ودخل الرجال وتقدَّم كهربائى وعمل نحو نصف ساعة ، غيَّر التابلوه والأسلاك ووضع الكويس والثلاجة ، وقال :

- دَعُوها مُقْفلةً نصف ساعة ، إنها ملأى بالطعام ، فيها ديك رومى وفراخ وبيض وجبن وزبد ، إنها مَلأى إلى الباب .. انتظروا نصف ساعة ، الساعة الآن الثامنة والنصف ، افتحوها فى التاسعة أو التاسعة والنصف ، وهذا صندوق فيه سيرفيس فضة ، وطقم صينى كامل ١٨٠ قطعة .. وقّعى هنا أرجوكِ ..

ووقَّعَتْ الأمّ ، وانصرف الرجال ، وقالت الأم ووجهها طافح بالبِشْر ..

- أرأيتِ يا ستّ موزة ، كنتُ على وشَك أن آتيكِ بقطعة جُبن أو بيضتين على الأكثر ، فأتتكِ الدنيا كلها .. جَاءكِ أعظم أكْل فى الدنيا

وأغلى أدوات أكْل فى الوجود ، أليستْ هذه هى ليلة القدر حقًّا ؟ وهل فى الدنيا عاقلٌ يرفض ليلةَ القدر ؟

- إذن فهاتِ لى قطعة الجبن والرغيف الجاف الذى عندكِ .. سأتعشَّى وأصلى وأنام .

- وهذا كُلُّه يا ابنتى ؟

- هذا لكِ ولعزيزة .. وكما قُلْتُ لكِ غدًا سأذهب إليه ، وبعد ذلك يفعل الله ما يريد .. ولم تفتح الأُمُّ فَمها ، كان هذا أكثر مما تفهم . قامتْ وأتتْ بطبق فيه قطعةُ جبن ورغيف وخيارة خضراء ، وقالَتْ :

- تُريدينَ البيضتين ؟

- لا .. هذا يكفى وألف حَمْد لله .

تعشَّتْ مُوزة وصلَّتْ المغرب والعشاء ، ودخلتْ غرفة النوم ، وانكمشتْ فى رُكْن السرير تاركةً بقيته لعزيزة ونامتْ .

* * *

مع الفجر صَحَتْ ، نامتْ كِفَايتها ، وضعتْ شَالاً على كتفيْهَا وخرجت مُتسلِّلةً إلى الصالة ، وقعتْ عينُها على التليفزيون والثلاجة ، على المائدة رأت أطباقًا فاخرة وملاعِقَ وشَوْكَاتٍ وسكاكين ستينلس ستيل . فتحتْ النور فتجلَّى لها عالَمُ ليلة القدر ، فتحتْ الثلاجة ونظرت

فرأتْ الديكَ الرومى ، وقد اقتطعتْ الأمُّ منه ، قطعت وتعشَّت مع عزيزة ، كان هناك كل شىء ، نقلتْ الديكَ والفراخ إلى الفريزر ، كان هناك لحمٌ وردىٌّ باهر ، كانت هناك الدنيا كل ما تشتهيه النفس وما يلذُّ الفم .

حقًّا إن دُنْيا الأغنياء غير دُنْيانا ، رتبتْ موزة كلَّ شىء فى الثلاجة كما ينبغى ، ثم أغلقتْها بإحكام ثم أخذت الأطباق وقِطَع السيرفيس ، وأعادتْ غَسْلها ثم توضَّأتْ وصَلَّتْ ، ثم جلستْ على كرسى خارج الحجرة مُلتفَّةً بالشَّال ، فقد كان الجو باردًا ونورُ النهار يزحف على الدنيا .

وصَحَتْ أمُّها وخرجتْ إليها وحَيَّتها ، وجلستْ على الأرض إلى جوارها ، وقالت :

- أفطرْتِ ؟

- الآن أُفْطِر ..

- اشْرَحى صدرى يا مُوزَة وأفطرى معى مهما حدث فأنا أُمُّكِ ، لقد أكثرتُ عليكِ بالأمس ، ولكنكِ تفهمينى فيما أظنُّ .

- طبعًا أنا أفهمُكِ ، وهَلْ لى فى الدنيا غيركِ ؟ كنتُ على وَشْك الذهاب إلى مدام عمر بك فى بيتها ، عندنا عملٌ كثير ، كنت سأفطر معها .

- هذا معقول ، تترُكِينَ أمكِ لتُفطرى مع مدام عمر بك ؟ فى الثلاجة جبن أبيض عجيب ، وجبنٌ آخر من برَّه لم أعرف مثله فى حياتى ، وهناك عِلَب من اللبن وخبز مُحمَّص ، انتظرى يا ابنتى يا حبيبتى ، سأُعِدّ لكِ إفطارًا لم تعرفيه فى حياتك ؟ هل تُصدِّقينَ أننى لم أَنَمْ لحظةً ، أجَل والله ولا لحظة اعتذِرى عَنِّى فى المصلحة من المحل ، أريد أن أنام ، سأنامُ بعد أن تفطر عزيزة وتتوجَّه إلى مدرستها .

وأفطرَتا معًا جُبْنًا ولبنًا وبيضًا وشَربتَا الشَّاى ، يبدو أن مُوزة بدأتْ تتعوَّد على ليلة القدر ، فهى هادئة ساكنة ووجهها مُشْرق ، الأم هى المُنْهَكَة القوى ، إنها فعلاً فى حاجة إلى النوم ، المفاجأة أضخم بكثير مما تحتمل .

رَقَّ قلبُ البنت للأم ، وقالت : هذا كله غير معقول وأنتِ معذورة يا أمى ، هذا موقفٌ أكبر بكثير منِّى ومنكِ ، لابُدَّ أنْ نتريث قبل أنْ نتخذَ قرارًا .

هذه العبارة الأخيرة كانت أشبه بلدْغَةٍ للأم ، ففتحتْ عينيها واسعتيْنِ وصاحَتْ ..

- لا يا حبيبتى ، لا يا سِتّ مُوزَة ، لا انتظارَ أو تريُّث ، المسألة محلولة وأنتِ ستتزوجين من هذا الرجل .. يعنى إيه نفكر ؟ ونفكر فى إيه ؟ خير الدنيا كلها عند أقدامنا ، فهل نتردد فى أنْ نأخذه ..

- لا يا أمى لن نتردد - قُومى أنت نَامى ، أنا سأعتذر لكِ ، أنتِ فى حاجة إلى النوم وسترينَ خيرًا إنْ شاء الله .. أتركك مع العافية ..

***

ازَّيَّنَتْ هذا اليوم على أحسن صُورة ، ولبستْ أجملَ فساتينها ، فستان تقليد كريستال ديور ، ووضعتْ الزىَّ على نَحْوٍ جعلها تبدو كالقمر ..

ووصلتْ المحل ، وجدتْ مدام عمر بك هناك تنتظرها ، كانت الساعة التاسعة والنصف ، والمرأة التى تقوم بالتنظيف تعمل فى حجرة مدام عمر ، جلستَا تُفْطران ، كانت السيدة قد أتتْ معها بقطع من البوريك الذى تُحِسن صُنْعه ، وحكَتْ لها مُوزَة كل شىء ، وهما تأكلان وتشربان الشاى ، ومدام عمر ظلت صامتة ، لا تجد لفظًا واحدًا تقوله . وموزة قالت :

- لا عليكِ يا مدام عمر بك لن يحلّ هذا الإشكال غيرى ، إن المعلم يكون فى محله الساعة الحادية عشرة وسأذهب لمقابلته .

- وماذا ستقولينَ له ؟

- لا أدرى . حقيقةً لا أدرى . إننى فى موقف لا تتصوَّرينه ، وعندى فى البيت أمى فقدتْ توازنها تمامًا ، وأنا أفهمها وأحبها ، ولا بُدَّ أن أعيد إليها توازنها، وعندنا رجل جبار يطلب روحى ، ونحن لا نستطيع أن

نكون أعداءه . إنه قوى جدًا وخطير جدًا ، دَعِينا الآن نعمل لتهدأ أعصابى . البحرينية ستأتى الآن ، وهى تريدُ فساتين بناتٍ من الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين ، فدعينى أبحث لأجمع لها أكبر قدْرٍ ممكن.

ونهضتْ وخرجت إلى المحل . ومدام عمر نظرتْ بإعجاب بالغ إلى هذه البنت التى تستطيع أن تتكلم وتعمل بهدوء فى هذا الظرف .

والسيدة من البحرين أتتْ حوالى العاشرة والنصف ومعها ابنتها (١٦ سنة) ، وموزة مضتْ تعرض عليها الثياب ، ومدام عمر بك راجعتْ عمل الشغالة ، ثم مضتْ تخدم سيدتين أتيتَا لشراء شنط وأدوات تجميل .

فى الحادية عشرة والربع كانت مُوزَة قد أنهتْ عملها ووضعتْ فى الخزانة أحد عشر ألف جنيه ، وأعطتْ الإيصالات لمدام عمر بك ، وطلبتْ إليها أنْ تُجمِّلها وتُعطِّرها وفعلتْ ، ثم أوصلتها بسيارتها إلى قُرْب محلِّ الصفا والمروة وأنزلتْها واستدارتْ راجعةً لمحلِّها ، وهى تقول :

- إننى أنتظركِ .. ربنا معاكِ .

كيف أمكن ترويض الجبار ؟

سألت مُوزة أولاً عن الحاج حسن زيتون . ذُهِل الرجل لمرآها ، ولكنها طمأنته قائلة : هذه مسألتى يا حاج ، كلكم قُمتم بأكثر من الواجب ، ولكن الحلَّ لن يكون إلا على يدى ؟ هل المعلم موجود..

- أجل موجود وهو فى غرفته وعنده ناس .. انتظرى حتى أستأذن لكِ ..

ومَضَى مُسْرعًا وهى خلفه وقفتْ بباب المكتب . بعد لحظاتٍ أخرج المعلم كلَّ مَنْ كان عنده ، ورأى موزة وقال لها :

- اتفضلى يا ستّ هانم .

ودخلتْ موزة على مهل ، وقالت للحاج : لا تنصرف من المحل ، أرجوك سأخلو مع المعلم الآن ، ولكننا سنحتاجُ إليكَ قطعًا ..

بعد أنْ أغلق البابَ عليهما أصلح المعلم من هيئته ، كان وسيمًا جدًّا على العادة وجلس إلى مكتبه فى كامل أُبَّهته ، وعلى رأسه الطربوش ، وقال : ماذا تشربين ؟

- ما تأمر به يا حاج .. كلّه منكَ كويس .

وبعد لحظة صَمْتٍ مضتْ تقول :

- جئتُكَ بنفسى يا معلم أنت رأيتنى عن بُعْد كما فهمتُ من الحاج ، أردتُ أن ترانى عن قُرْب إذا كنت فعلاً تريد الزواج منى ، فلا بدّ أنْ ترانى عن قُرْب ، أنا أيضًا أراك عن قُرْب ، ولكن هذا لا يُهِم ، إن الرجالَ عندنا هم الذين يختارون ، وأنا كما ترى طَوْعُ أمرك ، أنت لا تدرى ماذا فعلتَ بنا يا معلم بالأمس ، إنكَ لا تعرفنا ..

- نحن عائلة صغيرة جدًّا وفقيرة جدًّا ، وأمى التى عصفتَ بها امرأةٌ مسكينة ، زوجها - أبى أقصد - كان موظفًا صغيرًا فى أحد مخازن وزارة الصحة ، وزواجه من أمى لم يَدُمْ إلا ثمانى سنوات أو أقلّ ، أنجبا فيها أربعة أولاد :

أختى بهية ، وهى متزوجة الآن من أوسطى مطبعجى فى مطابع محرم بك بالإسكندرية .

وأخى محمود ، وهو ميكانيكى ممتاز ، ولكنه سافر إلى السعودية من ثلاث سنوات ، لقد أنفقنا لتسفيره آخر ملاليم معنا ، وكان الموعد أنْ يرسل إلينا شيئًا كل شهر ، ولكنه لم يرسل منذ سافر حتى ولا ورقة بيضاء ، ولكننا نسمع أنه بخير ، وأن شغله هناك يسير سيرًا طيبًا . هذا يرضينى أنا ، ولكنه يحرق أعصاب أمى .

ثم أنا وأختى الصغيرة عزيزة ، وقد رأيتَها أنتَ بالأمس ، أبى توفى وعمره ست وأربعون سنة ، تاركًا إيانا أطفالاً ، وعزيزة كانت فى بطن أمها ، المعاش الذى قدَّروه لنا وقدره ستون جنيهًا عشْنا عليه سنتين . كُنَّا بالفعل فقراء دُقَّة ، لأن معظم أَكْلنا كان الخبز والدُّقة .

ثم توسّط أصحاب أبى ، ووظّفوا أمى فى نفس المخازن بمرتب خمسة وخمسين جنيهًا ، إنها وظيفة مؤقتة لأنها لو توظفت تثبيتًا لانقطع المعاش ، دَخْلنا كله ونحن أطفال كان حوالى مائة وخمسة عشر جنيهًا ، زاد مرتب أمى اليوم إلى مائة وخمسين جنيهًا ، ولكن ما رأته من أيام الفقر جعل الفقر عقدة فى دمها أحيانًا ، وفى ظروف الضرورة كانت تعمل بعد الظهر فى البيوت بخمسة وعشرين جنيهًا .

كان ذلك قبل أنْ أعمل عند مدام عمر بك قبل ذلك حصلتُ على الإعدادية ، وبها توظفتُ بائعة فى محل الشوربجى براتب قدره خمسة وتسعون جنيهًا هناك تعلمتُ البيع ، ولكن الفقر كان قاسيًا جدًّا يا معلم أنت لا تعرف شيئًا عن الفقراء وآلاف الفقراء يا معلم ؟ هل أنا أُثقِلُ عليكَ بهذا الكلام ؟

- بالعكس ، أنا سعيد جدًّا بهذا الكلام الذى يزيدنى منكِ قُرْبًا ، وبكِ إعجابًا ، لقد كنتُ أحببتُكِ بنتًا حلوة صغيرة ، وأردتُ أنْ

أتزوجكِ لأستمتع بكِ على عادتنا نحن المعلمين .. ولكنى أرى الآن أنكِ شىء آخر ، أنتِ بنت حلوة وأنيقة ، هذا لا شكّ فيه ، ولكنكِ صدِّقينى أعقل بنت رأيتُها فى حياتى ، وأنا أحبكِ الآن بشكل آخر .. استمرِّى فى كلامكِ أرجوك ..

- حسنًا ، فاطلب لى قهوة مضبوط من فضلكَ .. بقى القليل على أىِّ حال .

وجاءت القهوة ورشفتْ منها رَشْفة ، ثم قالت :

- أنتَ لا تدرى ماذا فعلتَ بنا بالأمس يا معلم . أنت هجمتَ بكل وزنكَ على أمى ، تلك السيدة التى وصفتُ لك حالها فحطمتَها تمامًا ، المعلم المتال بجلالة قَدْره عندها فى البيت يطلب يد ابنتها . هل رأيتَ بيتنا يا معلم ؟ هل رأيتَ السُّلم المهدّم ، والسطوح المخلخل ، والصالة وغرفة النوم ، هل رأيتَ كيف نعيش ؟

- أنتِ تتكلمين كما لو كنتُ أنا من أسرة باشوات .. أنا أيضًا وأسرتى كنا نعيشُ فى أوائل أيام والدى ، كنا أربعة وأمى وأبى نعيش فى غرفة فى الحوش . إلى سِنِّ العاشرة ، كان طعامنا نحن أيضًا الدُّقة والفول والطعمية والباذنجان المقلى والبيصارة والعدس .

خضنا بحار الفقر والجوع والتعاسة ، وفى سن الثلاثين فقط سكنتُ فى شىء تستطيعين تسميته شقة فى حارة النخلة فى دخانيق كلوت بك .

هناك فقط بدأ أبى يعرف المكسب ، صدِّقينى لا أدرى ماذا فعل ، ولكنه فجأة انتقل بنا إلى بيتنا الحالى فى الهدارة ، واشترى هذا الدكان ، كان يبيع أشياء كثيرة .. أهمها بوابير الجاز ولمبات الجاز وحلل الألومنيوم.. ولكنى لا أريد أنْ آخذ الوقت .. أردتُ أن أقول لكِ فقط: إن الطينة من العجينة ..

- ولكن عجينتكَ يا معلم حطّمتنا بالأمس ، وأمى التى لم تُنادنى من سنين إلا بستِّ الكل ونور العين ، شتمتنى بالأمس بسببك ، وقالت لى: إنى سأتزوجكَ ورجْلى على رقبتى .. أنا لم أغضب منها يا معلم ، ولكنى شعرتُ أن كلّ ما بنيتُه ضاع ، ثم جاء التليفزيون والفيديو ، ثم الثلاجة بما فيها .

هل تصدق أن أمى لم يكُنْ معها إلا جنيهًا ، هى كل ما أعطتْهُ بقشيشًا لعمالك .. لقد سخروا منها وردوهُ عليها وقالوا : هَاتِى به كرملة للمحروسة بنتك .

- لا أدرى كيف أعتذر لكِ .. ولكنكِ على الأقل تعشَّيتِ عشاءً طيبًا .

- لا والله يا معلم ، تعشَّيتُ جبنًا وخبزًا جافًا ، هذا ما كان عندنا ..

- لم تَمَسِّى شيئًا مما أرسلتُ ؟

- لا يا معلم .. كنتُ لا بد أن أنتهى إلى قرار قبل أن آكل طعامك ، ولكن أمى وأختى أكلتَا من الخير الذى أرسلتَ .. وأنا غسلتُ الأطباق عندما صحوْتُ فى الفجر ، بعد صلاة الفجر فتَح الله علىَّ بالرأى ..

- وما هو ؟

- هو أن آتيكَ بنفسى وأقصّ عليك قصتى ، ثم أقول لك إننى طَوْع أمركَ ، لو أردتَ أن تتزوجنى فها أنذا بين يديكَ .

فنهض وخلع مِعْطفه وتمشَّى فى حجرته ، ثم اقترب منها وقال :

- أتعرفين كم سِنِّى يا ستّ موزة ؟ سبعون سنة . الفرق بينى وبينكِ ليس ستًا وثلاثين سنة ، بل هو ستّ وأربعون ، فَرْق غير معقول ، هل من الممكن أنْ أتزوجكِ ؟ وماذا أفعل بكِ وعندكِ عقلٌ بهذا الكمال ؟ إننى أفهم الآن مدام عمر بك التى رَجَتْنى - مهما حدث - ألاَّ أحرمها منكِ ..

- هل اتصلتْ بكَ ؟

- أنا اتصلتُ بها بالتليفون صباح اليوم ، فوجدّتها فى فزع بالغ .. هل صحيحٌ أنكِ بعتِ لها بالأمس بما يقرب من اثنى عشر ألف وخمسمائة جنيه ؟

- أرزاق يا معلم .. الله سبحانه وتعالى يُقسِّم الأرزاق .. ومدام عمر تستحق أكثر من ذلك .. إنها كل حاضرى وكل مستقبلى .. إلا ..

- لا يا موزة .. لستُ مجنونًا حتى أُصِر على الزواج بكِ .. أنا أقولُ ما قلته : إننى طَوْع يدكِ ، تريدين الزواج منى ؟

- إذا أردتَ الحق .. لا يا معلم .. أتدرى لماذا ؟ لأنك الآن وأنت تتكلم تحدثتَ عن أيام الفقر التى مرَّتْ بكم ، والسيدة حرمك التى يقولون إنها مريضة وجالسة على كرسى بعجل ، عانتْ معك ، وعرفتْ سنوات الفول والطعمية والباذنجان المقلى ، ثم ترانى الآن أقتحم عليها حياتها ، إننى أحبها دون أن أراها .

ومضى المعلم إلى مكتبه ودَقَّ الجرس ، وطلب حسن زيتون . والرجل كان بالباب ينتظر ، وقال المعلم :

- اجلس يا حاج ، كما هى العادة نظرك صائب ، وموزة فى الحقيقة أعظمُ بكثير مما وصفتَها أنت ، وأنا لن أتزوجها ولكننى سأتبنَّاها ..

- هذا أحسن يا معلم ..

- أتدرى ماذا كانتْ تفعل أىّ بنت فى مكانها ؟ كانت جَرَتْ كالمجنونة وألقتْ نفسها بين يدىّ ، ولكن موزة وضعتْ عقلى فى

دماغى ، أمها جُنَّتْ وفقدتْ توازنها بالضبط كما توقعتُ ، وموزة تحملتْ وسكتتْ واستخارت الله بعد صلاة الفجر ، والله سبحانه هداها إلى أنْ تأتى إلىّ ، وعندما دخلتْ علىّ اعتقدتُ أننى سأكتب كتابى عليها غدًا ، ولكنى عندما رأيتُها عن قُرْب ، عندما رأيتْ وجهها الصبيح بالزىّ الإسلامى الجميل ، شعرتُ أننى أصغرُ منها فى العقل لأننى فكرتُ فى الزواج منها ، وعندما تكلمتْ بهذا الهدوء الذى لم أعرفه فى بنت أخرى شعرتُ أننى أصغر وأصغر .. الآن اتفقنا على أن تصبح ابنتى أو مثل ابنتى ..

- هذا أحسن .. إن أولادكَ كانوا مستعدين لنسْفِها نسفًا ..

قالت موزة :

- الآن يا معلم ترسل مَنْ يأخذ أشياءك ..

- لا والله يا موزة .. هذا رزقكِ وقد ساقه الله إليكِ ، وأنا وعدْتُ الستّ والدتك بشقة ، وسأعطيكِ شقة بدون خلو أو مقدم وبنصف إيجار .

قالت : وكم الإيجار الكامل ؟

- إنها خمس غرف وإيجارها بعد الخلو والمقدم مائتان وخمسون جنيهًا.

- إذن نأخذها بالإيجار الكامل ..

- كم إيجار شقتكم الحالية ؟

- خمسة جنيهات .

قال الحاج : إذن فلن تدفعى إلا مائة وخمسة وعشرين .

قال المعلم : هذا معقول ، نكتب لك العقد ، ثم إننى أريد أن أهديكِ هدية لكِ خاصة ..

ثم نظر إلى الحاج وقال : أظن عندنا سيارة فيات ١٣١ كنا نبحث لها عمَّنْ يشتريها ، اكتب عقد بيع بها لموزة بخمسة عشر ألف جنيه وسجِّلها باسمها فى الشهر العقارى ، ولن تأخذ منها شيئًا طبعًا ..

قالت : هذا كثير جدًّا يا معلم ، ودَعْنى أدفع ثمن هذه على الأقل ، إننى هكذا أفقد توازنى ، إنى هكذا أنهبكَ .

وهنا تدخَّل الحاج ، وقال :

- معذرة يا معلم سأقطع حديثك ، ولكن الحاج سرحان يريد أن يعرف إنْ كنا سنشترى التليفزيونات ..

ودون تفكير قال المعلم : نشتريها ..

- بعد أن عرفنا عيبها ؟

- لا يهم ، كلها ثلاثة آلاف تليفزيون ، إعلان واحد فى الأهرام يبيعها ، مَشِّى يا راجل .. هذه ثلاثمائة ألف جنيه فى أسبوع .

ثم عاد المعلم إلى مُوزة ، فوجدها غارقة فى أفكارها ، فقال لها :

- أين أنتِ يا ستّ هانم ؟

- مع صفقة التليفزيونات ..

- وأنتِ ما رأيكِ فيها ؟

- سأسمح لنفسى بالكلام لأنكَ الآن أبى .

- تكلّمى ..

- إذا كانت معيبةً فلسْنَا بحاجة إليها .. لقد أغنانا الله بالحلال عن الحرام ..

وقال الحاج : والله يا معلم ، هذا هو الرأى . ستضر بصالحنا . وقد سمعتُ أن المصنع الذى أنتجها فى بلادها قد أفلس .. لقد أكرمكَ الله سبحانه وتعالى وأكرمنا .. والحاج سرحان هذا شُؤم .. وهو من أسوأ تجار بورسعيد سمعة ..

وبعد تفكير قال المعلم : نخسر ثلاثمائة ألف جنيه بهذه البساطة ؟

- قالت : إنكَ لم تخسرها يا معلم .. إنها ليستْ مالك .. إنها مالٌ حرام ، وأنت رجلٌ حلال ..

وابتسم المعلم وقال :

- أجل ، أنا رجلٌ حلال .. قُلْ لسرحان : إننا لا نريد هذه الصفقة .. عندنا كفاية وخير ربنا كثير والحمد لله ..

وقالت مُوزة :

- الآن أمضى .. لا تتصوَّر سعادتى بعد أن أصبحتُ ابنتك .. من الآن ستجدنى أمامكَ فى اللحظة التى تريد .

- لو لم أعرف أنكِ متعلقة بمدام عمر بك لأخذتكِ هنا رئيسة البائعات بضعف المرتب ..

- هكذا أحسن يا معلم .. أعود الآن إلى مدام عمر بك .. إنها تنتظرنى على أحرَّ من الجَمْر .

وقال المعلم : تذهبينَ مع سلامة الله ، وأنتَ يا حسن تنجز لها كلّ ما اتفقنا عليه ..

عندما وصلتْ إلى محل (جُود لكْ) وجدتْ مدام عمر تكاد تُجنّ .. ووجدتْ البحرينية وابنتها وصاحبةً لها وزبائن أُخريات ، فقالتْ لمدام عمر : أنا أعرف أنكِ تريدين أنْ تعرفى كلّ ما حدث ..

سأقصُّ عليك كُلَّ شيءٍ ، ولكن فى البيت .. سأتغدَّى معك ..

وقالت البحرينية :

- لا يا ستّ هانم .. نحن فى انتظاركِ من ساعة .. نتهى من عملنا ، والغداء معى ومع صديقتى فى الفندق ..

وقالت مدام عمر :

- هل نستطيع أنْ نجعله عشاءً ؟

وقالت مُوزة :

- لماذا يا مدام عمر بك ؟ هل نسيتِ قاعدتنا : العميل أولاً ؟ ومدام موضى ليست مجرد عميلة .. إنها عميلة وصديقة ، ومدام ليلى عميلة جديدة .. نرى الآن ماذا تريدان ونتغدى معهم فى الفندق .. ونتكلم نحن على العشاء .

وطلبت مُوزة شايًا للجميع ومضتْ تكمل .. كانت مدام (موضى) تريد أن يعملوا لها خمسين قطعة تقليد شانيل .. ومدام ليلى تريد فساتين نيناريتشى وتيدلابيدوس وأشياء أخرى كلها صناعة مصرية ؟ وهذا غِش .. وإنْ كان كل تجار الأزياء هؤلاء يتاجرون فى الأحلام والأوهام ، وكلهم يسرق بعضهم من بعض . وإيف سان لوران قال :

إننى أضع إمضائى على أجساد الموديلات ، وهذا الإمضاء لا يراه إلا الرجال الذين يدفعون .

فى الفندق وقبل الغداء مع مدام عمر والبحرينيتين أخذت دُشًّا ، ولبستْ ملابس أخرى كانت قد أتتْ بها .. كانت فى أشد الحاجة إلى ذلك .. ومدام (موضى) أخذت الملابس التى خلعتْها وسلَّمتها للغسيل فى الفندق ، وقالت :

- تعرفين يا موزة ، ماذا طلبوا منا فى محل آخر ثمنًا لما اشترينا منكم ؟ أربعين ألف جنيه ، وأنتم لم تأخذوا إلا خمسة عشر ألف جنيه ..

- التجارة يا مدام موضى ذمة وأمانة .. ثم لا تنسى أننى ألبسُ الزى الإسلامى ، وهو ليس زينة أو فانتازية ..

وعادتَا إلى العمل بعد الظهر ، وظلتَا هناك حتى السابعة ، وكانتَا قد أرسلتَا رسالةً إلى أم موزة تنبهها أنها ستتأخر إلى العاشرة مساءً ، وكانت موزة تعرف أن أمها « هايصة » فى التليفزيون والثلاجة وما فيها ، وأن هذا سيشغلها عن أىِّ شىء آخر إلى أنْ تعود بعد العاشرة ..

وفى المساء وعلى العشاء فى دار مدام عمر بك قصَّتْ عليها مُوزة كل شىء ، وهما تتعشّيان بفرخة باردة مع المايونيز .. وبعد أنْ سمعتْ مدام عمر الحكايةَ ابتسمتْ ، وقالت :

- برافو يا موزة وألف مبروك .. أتعرفينَ ما الذى كسر هذا الرجل ، وجعله يتغير على هذا النحو ؟ إنه ذهابك أنت إليه ، ثم وَضْعكِ نفسكِ تحت تصرُّفه .

عندما قلتِ له : أنا بين يديكَ . إنْ أردتَ أن تتزوجنى فأنا طوْعُ أمركَ .. عندما قلتِ له ذلك أحسَّ أنه انتصر .. أحسَّ أنه سيّد الموقف فتفضّلَ وأطلق سراحكِ !

هؤلاء جبابرة .. الحمد لله .. أنتِ لا تعرفينَ كم أنا سعيدة لأنكِ ستظلينَ معى .. أتعرفين أننا بِعنا اليوم بخمسة عشر ألف جنيه ؟ أنتِ تعرفين ذلك طبعًا .. من الآن يا موزة راتبك ألف وخمسمائة جنيه فى الشهر .

فقالت موزة : نزيدها إلى ألف وسبعمائة وخمسين جنيهًا عندما نحصل على السيارة .. إن السيارات تتكلف .

- أم تريدين أنْ نعمل المحلّ شركة بينى وبينكِ ؟

- لا يا مدام عمر بك .. المحل محلك ، وأنت صاحبته ، ولكننا فيما بعد نستشير محاميًا لأننى لا أريد أن ابنك - بارك الله فيه وأطال عمره - يفكر فى أن يطردنى فيما بعد ، وهذا المحل أصبح قطعة منى بسببكِ أنت ..

فتنهدتْ السيدة فى عمق ، وقالت :

- ابنى ؟ وأين هو ابنى ؟ لا أظن أن ابنى أشرف سيحصل على دكتوراه القانون من باريس أبدًا ، ها هو ذا هناك من سِتّ سنوات ولا نتيجة ..

وأخذتْ مُوزة تاكسيًا إلى بيتها ..

وحكتْ كل شىء لأمها ، وأمها قالت : معقول ده يا ناس ؟ كل هذا وشقة وسيارة ؟ وماذا يبقى على الزواج منه ؟ أكملى جميلكِ وتزوّجيه ..

- يبقى أننى أظلّ حرة يا أمى ، أظلّ فى أمان يا أمى .. أتعرفين ماذا يمكن أنْ يعمله أولاده إذا أنا تزوجتُ أباهم ؟ يفترسوننى ويفترسونكِ يا ستّ الكل ..

وفى الصباح ، مَرَّ الحاج حسن زيتون بموزة فى المحل لتذهب معه لتتسلّم الشقة ، وفى اليوم التالى مرَّ بها لنقل ملكية السيارة ، وفى الطريق أخرج علبة قطيفة فتحتْها فإذا بداخلها أسورة ذهب ، وقال :

- مِنْ حرم المعلم ! ماذا فعلتِ لها ؟

ففكّرتْ لحظات ، وقالت :

- لأننى قلتُ له إننى لا أتزوجه إكرامًا لزوجته التى قاسَتْ معه أيام الفقر والمرِّ والعذاب ..

- تعرفين يا موزة .. لم يغلب هذا الرجل إلا أنتِ ! لقد أصبح على يديكِ إنسانًا آخر .. حتى هذه الكلمة قالها لامرأته ..

- أظن أن من المناسب أنْ أزورها فى بيتها ..

- لا والله يا موزة .. تظلينَ بعيدة عن البيت وما فيه .. إن أولاد المعلم شياطين ، وقد أعاننا الله وغلبنا الجبار ، ولكن الشياطينَ لن يغلبهم أحدٌ .. وعلى فكرة .. أين خطيبكِ المحاسب هذا ؟ ..

- موجود .. الآن يتحرك ، كان نائمًا ، مثله فى ذلك مثل معظم الخُطَّاب : عرسان مع وقف التنفيذ حتى توجد الشقة ..

- تمت -